جامعة تكريت
كلية التربيـــة
قسم التأريـخ

المقاومة العربية لسياسة الاحتلال البريطاني لعدن ١٨٣٩ - ١٨٥٤

رسالة تقدم بها

ثامر عزام حمد الدليـمي

رسالة مقدمة إلى
مجلس كلية التربية في جامعة تكريت
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير

بإشراف
الأستاذ المساعد الدكتور
مؤيد محمود حمد المشهداني

1426 هـ   2005 م

إقرار المشرف

أشـهد أن إعـداد هـذه الرسـالة الموسـومة بــ (الاحـتلال البريطـاني لعـدن والمقاومة العربية 1839 – 1854) التي قدمها الطالب (ثامر عزام حمد الدليمي) جرى تحت إشرافي في جامعة تكريت / كلية التربية ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التأريخ الحديث والمعاصر .

التوقيع :

المشرف : أ.م.د مؤيد محمود حمد المشهداني

المرتبة العلمية : أستاذ مساعد

التأريخ :

توصية رئيس قسم التأريخ :

بناءاً على التوصيات المتوفرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

رئيس قسم التأريخ : أ.م. د مؤيد

التأريخ :

إقرار المقوم العلمي

أطلعت على هذه الرسالة الموسومة (الاحتلال البريطاني لعدن والمقاومة العربية 1839 – 1854) فوجدتها سالمة من الناحية العلمية وبذلك أصبحت الرسالة مؤهلة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم :

المرتبة العلمية :

التأريخ :

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أن هذه الرسالة الموسومة (الاحتلال البريطاني لعدن والمقاومة العربية 1839 – 1854)قد راجعتها من الناحية اللغوية وصححت مما حدد فيها من أخطاء لغوية وتعبيرية وبذلك أصبحت الرسالة مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بسلامة وصحة التعبير .

التوقيع :

الاسم :

المرتبة العلمية :

التأريخ :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴿133﴾ ﴾

صدق الله العظيم

((سورة هود ، الآية 113))

الإهداء

إلى ...

من رووا بدمائهم الزكية أرض الرافدين ـ (شهداء العراق)

من أنارا لي طريق الحياة وربياني صغيراً ـ (أمي وأبي)

من كانوا لي سنداً وعوناً ـ (أخوتي وأخواتي)

سكني مع فيض مودتي ـ (زوجتي)

مهجة قلبي ـ (بناتي ، نور وأسيل وعدن)

أهدي جهدي المتواضع ...

الباحث

الشكر والتقدير

بعد أن أنعم الله عَلي بإنجاز هذه الرسالة يشرفني أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير لأستاذي المشرف الدكتور مؤيد محمود حمد المشهداني، مقدراً توجيهاته العلمية السديدة لإنجاز هذه الرسالة .

كما أتقدم بالشكر والثناء لأساتذتي في السنة التحضيرية وهم الأستاذ الدكتور إبراهيم البيضاني والأستاذ الدكتور عبد المجيد كامل التكريتي والأستاذ الدكتور سلمان خيري الحديثي والأستاذ المساعد الدكتور محمود عبد الواحد القيسي والأستاذ المساعد الدكتور صالح حسين الجبوري والأستاذ المساعد الدكتور محمد يوسف القريشي .

ويطيب لي أن أشكر بحرارة الدكتور علي خضير عباس المشايخي والدكتور نايف محمد حسن الأحبابي لما أبدياه لي من مساعدة كبيرة وما قدموه لي من نصائح قيمة ذللت أمامي الكثير من الصعوبات .

وأقدم شكري وتقديري لكل الأساتذة الذين أكرموني بعض جهدهم ووقتهم وأخص بالذكر الدكتور ابراهيم العبيدي أستاذ التأريخ في كلية الآداب / جامعة بغداد والأستاذ الدكتور طارق الحمداني أستاذ التأريخ في كلية التربية / جامعة بغداد .

أما زملائي في الدراسة والذين جمعني بهم طريق العلم والأخوة فلهم مني جزيل الشكر والتقدير وأخص منهم الأخ قحطان جابر أسعد والأخ غفار جبار والأخ طه خلف الجبوري والأخ زهير قاسم محمد، ويطيب لي أن أشكر جهود الأخ عمر والأخ أحمد لجهودهما في إتمام الطباعة وتحمل أعباء التصحيحات المتكررة .

وأتقدم بخالص الشكر والإمتنان إلى جميع الأخوة العاملين والعاملات في المكتبة المركزية بجامعة بغداد وأخص منهم الأستاذ موفق والعاملين في المكتبة الوطنية ومكتبة الجامعة المستنصرية وخاصة الأخت شيرين ومنتسبي مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب/ جامعة بغداد ومكتبة قسم التأريخ في كلية التربية / جامعة بغداد ومنتسبي مكتبة بيت الحكمة وخاصة الأخ أنيس عبد الخالق لتعاونهم معنا في توفير المصادر التي تتعلق بموضوع الرسالة .

وأخيراً أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من مد لي يد العون أثناء فترة دراستي وكان يسأل عن عملي ويشجعني .

والله من وراء القصد ...

الباحث

- المحتويات -

المقدمة

- المقدمة ونطاق البحث وتحليل المصادر -

تعتبر هذه الرسالة التي تناولت منطقة البحر الأحمر بشكل عام وجنوب الجزيرة العربية وعدن بشكل خاص، لذلك فقد انصب الجهد لدراسة الأهمية التأريخية والاستراتيجية لمنطقة عدن، كما تم التركيز على الناحية التأريخية للصراع الدولي حول تلك المنطقة .

فقد تنافست قوى متعددة على عدن وسعت لوضع يدها على هذا الميناء البحري الهام الذي يتحكم بطريق البحر الأحمر، والذي يعتبر من أهم الطرق البحرية العالمية، لما يقدمه من تسهيلات ترتبط بالمبادلات التجارية بين الشرق والغرب، وبالطبع فإن لهذا الصراع والتدخل الأجنبي تأثيرات كبيرة على شعوب المنطقة وثقافاتها وحضاراتها وعلى مستقبلها ايضاً، يضاف إلى ذلك الضعف والمشاكل المحلية اللذان تعيشهما معظم الدول الساحلية الواقعة على البحر الأحمر، كل ذلك سهل كثيراً من مهمة التغلغل الأجنبي في تلك المنطقة.

ونظراً للأهمية التأريخية لميناء عدن وتنافس القوى الأجنبية الكبرى عليها منذ بداية القرن السادس عشر وإنتهاءً بفوز بريطانيا بالسيطرة على هذه المنطقة الحيوية من العالم، فقد وقع الإختيار على دراسة (المقاومة العربية لسياسة الاحتلال البريطاني في عدن 1839- 1854) موضوعاً لرسالة الماجستير في التأريخ الحديث ، على الرغم من ظهور عددٍ من الرسائل والأطاريح التي تناولت جوانب متعددة من الصراع الدولي حول عدن ، فإن الدراسة الحالية تركز على الدوافع والأساليب الاستعمارية الملتوية التي إستخدمتها بريطانيا بهدف السيطرة على عدن[1]، لإشباع رغباتها الاستعمارية وتحقيق مصالحها الاقتصادية متجاهلة مصالح ومستقبل أهالي عدن .

إزدادت أهمية عدن في مطلع القرن التاسع عشر بعد استخدام السفن التي تعمل بواسطة البخار بدلاً من السفن الشراعية . ولكي تتمكن بريطانيا من استخدام السفن البخارية في رحلاتها الطويلة إلى الهند، فإن الأمر كان يستلزم توفير الموانئ المختلفة لتموين السفن بالفحم والمياه اللازمة، لذلك فقد أقدمت بريطانيا على إحتلال عدن بعد ورود تقارير عديدة من المسؤولين البريطانيين تؤكد أن أهمية ميناء عدن كونه ميناءً مناسباً لتزويد السفن البريطانية بالفحم والمياه والمؤن اللازمة وذلك لوقوعها في منتصف الطريق بين لندن

1- محمد عبد المحسن الحلي، عدن والصراعات الدولية في البحر الأحمر 1798- 1839، رسالة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1988؛ علي خضير عباس المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر 1798- 1882، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1997.

وبومباي ، وقد رأى رجال التجارة والاقتصاد والكثير من الساسة البريطانيين في الثلاثينات من القرن التاسع عشر أن استخدام البخار في تسيير السفن التي تقوم برحلاتها من الهند الى الموانئ البريطانية سيوفر الكثير من الوقت والجهد والنفقات وبدؤا يميلون لتحقيق هذا المشروع، وبالإضافة إلى ذلك فإن طريق رأس الرجاء الصالح قد اصبح طريقاً عقيماً في ذلك الوقت لا يساير الثورة الاقتصادية في ظروف زادت فيها العلاقات التجارية والسياسة بين أوربا والشرق ، وهي تستلزم لذلك الاتصال السريع .

ومن الأمور الأخرى التي جعلت بريطانيا تقدر قيمة إتصالها بالهند من خلال الطريق الأقصر عبر البحر الأحمر ، حملة نابليون بونابرت على مصر في عام 1798، فقد أدرك الساسة البريطانيون إن تلك الحملة هي جزء من خطة فرنسية لضرب المصالح البريطانية في الشرق . وكانت الحملة بمثابة ناقوس الخطر الذي نبه الحكومة البريطانية في الهند الى ما يحيق بمصالحها الحيوية في الشرق ، لذلك قامت حكومة بومباي البريطانية في الهند بنشاط واسع النطاق مستعينة بقواتها الهندية للسيطرة على المراكز الاستراتيجية في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وذلك للوقوف بوجه أية محاولة فرنسية للإضرار بالمصالح البريطانية في الهند .

وجاء إختيار الموضوع بصيغته الحالية لأن هذه الفترة كانت تمثل جزءاً من مرحلة ضعف وإنحلال للدولة العثمانية، التي كانت تدعي السيادة الإسمية على المناطق العربية بما فيها عدن ، بينما كانت بريطانيا في أوج عظمتها في تلك الفترة، ولم تكن الدول الأوربية في ذلك الوقت تقدر الأهمية الحيوية لهذه الزاوية الهامة لشبه الجزيرة العربية، غير أن البريطانيين كانوا على العكس من ذلك يعرفون ويقدرون تماماً أهمية هذه المنطقة التي تتحكم في أهم طريق بحري بين الشرق والغرب ، وأن سيطرتهم عليها سيمهد الطريق أمامهم للسيطرة على منطقة البحر الأحمر في وقت قصير .

إنطلق البحث من فرضية مؤداها أن الحكومة البريطانية كانت تتطلع من خلال احتلالها لعدن إلى تحقيق مصالحها الإستراتيجية، كما إنها كانت تهدف ايضاً إلى الوقوف بوجه القوى الأوربية المتنافسة معها لتهديد طرق مواصلاتها بين الموانئ البريطانية والهند، **((درة التاج البريطاني))** وللإجابة على تلك الفرضية لا بد من طرح الأسئلة الآتية :

ما هي الأهداف التي كانت تسعى إليها الحكومة البريطانية من احتلالها لعدن؟ وما هو موقف الدول الأوربية والدولة العثمانية من الاحتلال البريطاني لعدن عام 1839؟ وما هو

موقف أبناء عدن والقبائل المجاورة لها من هذا الاحتلال؟ ثم نطرح التساؤل الآتي، ما هي الأساليب التي اتبعتها الحكومة البريطانية لتكريس سيطرتها على عدن؟ .

وللإجابة على تلك التساؤلات تم تقسيم محتويات الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة مع ملخص باللغة الإنكليزية .

تناول الفصل الأول من الرسالة الموقع والأهمية الاستراتيجية لعدن إضافة إلى الصراع الدولي على تلك المنطقة ، فقد تنافست الدول الأوربية عليها منذ بداية القرن السادس عشر، وكان البرتغاليون هم أول من حاولوا السيطرة على عدن ليتمكنوا من خلالها التحكم في البحر الأحمر، بالإضافة إلى تهديدهم العتبات الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة، إلا إنهم واجهوا مقاومة عنيفة من قبل الطاهريين الذين كانوا يحكمون عدن للفترة بين عامي (1454- 1538) . وبقيت عدن ميداناً للتنافس بين البرتغاليين والعثمانيين طيلة القرن السادس عشر .

وحاول الهولنديون أن يسيطروا على عدن في مطلع القرن السابع عشر ، إلا انهم لم يتمكنوا من تنفيذ مخططهم، وحاول الفرنسيون ايضاً مد نفوذهم إلى عدن في بداية القرن الثامن عشر ، ولكنهم لم يستطيعوا السيطرة عليها . أما بريطانيا فتعود أطماعها في عدن منذ بداية القرن السابع عشر وقد تنافست مع فرنسا عليها في نهاية القرن الثامن عشر. وبدأ التغلغل الاستعماري البريطاني في عدن في بداية القرن التاسع عشر ووقفت بوجه والي مصر الطموح محمد علي الذي كان ينوي مد نفوذه إلى عدن حينذاك . كما تناول الفصل الدوافع البريطانية المختلفة للسيطرة على عدن .

وتتبع الفصل الثاني مقاومة أهالي عدن للمخططات الاستعمارية لبريطانيا لاحتلالها . وقد تم تقسيم الفصل إلى أربعة مباحث تناول المبحث الأول أساليب الضغط السياسي لبريطانيا في احتلال عدن، كما تضمن المبحث الثاني مقاومة أهالي عدن والقبائل المجاورة لها للقوات العسكرية البريطانية . وتضمن المبحث الثالث المشكلات التي واجهتها بريطانيا في عدن بعد الاحتلال . وتناول المبحث الرابع الموقف الإقليمي والدولي من الاحتلال .

أما الفصل الثالث فقد تتبع تطور نشاط حركة المقاومة العربية إزاء سياسة الاحتلال البريطاني حتى عام 1854. تناول المبحث الأول سياسة بريطانيا في عدن بعد الاحتلال ، وتناول المبحث الثاني المحاولات التي قام بها السلطان محسن بن فضل العبدلي لإستعادة عدن من قرصنة البريطانيين ، وتناول المبحث الثالث حركة الشريف إسماعيل بن الحسن

لإستعادة عدن ، أما المبحث الرابع فقد تناول نشاط حركة المقاومة العربية بعد عام 1849 وأهم المشاكل التي واجهت حركة المقاومة العربية في تلك الفترة وأسباب فشلها .

وقد واجهتنا في فترة إعداد هذه الرسالة بعض المعوقات، كان أبرزها إفتقار المكتبات العراقية الى الوثائق الرسمية حول الموضوع، وان الشيء الوحيد الذي إستطعنا الحصول عليه هو عدد قليل من الوثائق البريطانية التي تناولت عدداً من الرسائل المتبادلة بين المقيم السياسي البريطاني في عدن وشيوخ القبائل المجاورة لها ، إضافة الى معاهدات الصداقة والسلام التي أبرمتها الحكومة البريطانية عن طريق هينز مع شيوخ القبائل المجاورة لعدن. وتوجد تلك الوثائق في المجلد المعروف بـ ((سجلات اليمن للمدّة بين 1798حتى 1960))

((Records of Yemen 1798 – 1960))

لمؤلفه دورين إنجرامز وليلي إنجرامز ((Doreen Ingrams and Leila Ingrams)) .

كما اعتمدت الرسالة على العديد من المصادر التي إشتلمت على الكتب العربية والمعربة، والرسائل الجامعية ، والأبحاث، إضافة الى المصادر الأجنبية وقدمت تلك المصادر بمجملها معلومات مهمة غطت جوانب الرسالة المتعددة .

ومن الكتب العربية المهمة التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة هو كتاب (عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839- 1918) للدكتور فاروق عثمان أباظه، فهو يعد من أشهر الكتب التي كُتبت عن (منطقة عدن والبحر الأحمر)، تناول هذا الكتاب تفاصيل دقيقة عن عدن، فوجدت فيه مادة مهمة لمعالجة موضوع الرسالة ، وتأتي أهمية هذا الكتاب الذي هو في أساسه بحث نال به مؤلفه درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف، بأنه اعتمد على مجموعة كبيرة من الكتب والرسائل والبحوث العلمية ذات الاتصال الوثيق بموضوع البحث .

أما كتاب (سياسة بريطانيا في جنوب اليمن) للدكتور جاد طه، فهو من أهم الكتب التي تناولت تأريخ المنطقة بشكل عام واليمن بصفة خاصة، وقد إعتمد المؤلف على العديد من الوثائق وتعامل مع الموضوع وفق منهج علمي رصين، الأمر الذي سهل علينا البحث في هذا الموضوع ، خاصة ما يتعلق بالسياسة البريطانية في عدن وورود الفعل العربية والعثمانية إزاءها .

ومن الكتب العربية الأخرى التي شكلت مصدراً مهماً لهذه الرسالة هو كتاب (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) للدكتور حمزة علي إبراهيم لقمان، فقد أمدنا هذا الكتاب بالكثير من المعلومات التي تتعلق بطبيعة عدن والأوضاع القائمة فيها آنذاك ، والتعرف على أحوالها التجارية والسياسية وصولاً إلى أول تيارات المد الاستعماري الأوربي بصفة عامة والبريطاني بصفة خاصة في مطلع العصور الحديثة وموقف القوى العربية والإسلامية في مواجهة هذه التيارات عند السواحل الجنوبية للبحر الأحمر وجزيرة العرب.

أما كتاب (التأريخ العسكري لليمن 1839- 1967) لمؤلفه سلطان ناجي فهو ايضاً من الكتب المفيدة التي رفدتنا بمعلومات قيمة استفدنا منها في الفصل الأخير من الرسالة، الذي تناولنا فيه المقاومة العربية للإحتلال البريطاني لعدن، وكذلك كتاب (معارك حاسمة في تأريخ اليمن) للدكتور حمزة علي ابراهيم لقمان ، الذي زودنا بالكثير من المعلومات عن الموضوع نفسه .

أما الكتب الأجنبية فقد رفدتنا بمعلومات كثيرة ومتنوعة في كل جوانب موضوع الرسالة . وكان من أهمها كتاب ((دور بريطانيا الاستعماري في البحر الأحمر ما بين 1800- 1878)) توماس مارستون (Thomas Marston)

((British's Imperial Role in the Red sea Area 1800- 1878))

وهو من الكتب المفيدة التي تناولت الصراع في البحر الأحمر بين أهم أقطابه في تلك الفترة، وقد إعتمد هذا المؤلف على مجموعة من الوثائق والكتب والمصادر، كما انه تناول ايضاً جغرافية المنطقة واهم مواقعها ومنافذها وطبيعة سكانها .

أما كتاب تأريخ العربية السعيدة أو اليمن

((A history of Arabia felix or Yemen))

لمؤلفه بلايفير ((Playfair))، فهو من الكتب المهمة والقريبة من أحداث تلك الفترة التي تناولتها الدراسة، فقد تناول الكتاب الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لليمن، كما ان هذا المؤلف هو أول من تناول حادث غرق السفينة ((دوريا دولت)) الذي إستغلته بريطانيا لتنفيذ مخططها الاستعماري في احتلال عدن .

ومن الكتب الأخرى المهمة كتاب سلاطين عدن ((Sultan's of Aden)) لمؤلفه ووترفيلد (Waterfield) الذي أفادنا بمعلومات مهمة حول جهود البريطانيين في إحتلال عدن وتوضيح دور هينز، كونه أول مقيم سياسي بريطاني في عدن للفترة من 1839- 1854، في تدعيم السيطرة البريطانية في عدن والمناطق المجاورة لها .

أما كتاب تأريخ عدن 1839- 1872 ((History of Aden 1839- 1872)) لمؤلفه كور (Kour) فهو من أفضل الكتب من حيث الدقة التي تناولت موضوع الإدارة البريطانية في عدن .

وبهذا العرض أكون قد أشرت إلى أهمية موضوع الدراسة ومحتوى فصولها والملامح العامة لمصادرها . وأرجو من الله العلي القدير أن يكون هذا الجهد المتواضع مصدراً مفيداً للمعنيين بتأريخ اليمن .

الباحث

الفصل الأول

عدن الأهمية الإستراتيجية ودوافع الاحتلال البريطاني عام 1839

المبحث الأول : **عدن التسمية والتعريف بأهمية موقعها الإستراتيجي عام 1839**

المبحث الثاني : **بريطانيا وصراع القوى الدولية في منطقة البحر الأحمر**

أولاً : **الصراع الدولي حول عدن**

ثانياً : **بداية ظهور النشاط الاستعماري البريطاني في عدن**

ثالثاً : **موقف بريطانيا من تحركات محمد علي نحو عدن**

المبحث الثالث : **الدوافع البريطانية للسيطرة على عدن**

المبحث الأول : عدن التسمية والتعريف بأهمية موقعها الإستراتيجي

تشكل عدن جزءاً مهماً وحيوياً من إقليم الجنوب اليمني الذي يقع في أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية بين دائرتي عرض (12 و19) درجة شمالاً وبين خطي طول (43 و56) درجة شرقاً، وتبلغ مساحته الكلية (112000) ميل مربع[1] ، ويحده البحر العربي من الجنوب والشطر الشمالي من اليمن والمملكة العربية السعودية من الشمال وعُمان من الشرق[2] ، وبذلك فان إقليم الجنوب اليمني يشرف على سواحل بحرية واسعة يبلغ طولها على البحر العربي (1210) كيلومتر، مما جعل الإقليم منطقة إشراف مهمة على مضيق باب المندب[3] . ومما زاد من أهمية المنطقة من الناحية الإستراتيجية وجود الكثير من الجزر الساحلية، بعضها قريب من الساحل العربي، وبعضها الآخر قريب من مدخل البحر الأحمر[4] .

أما مدينة عدن فقد تميزت عن غيرها من المدن التابعة لإقليم الجنوب اليمني بأهميتها الاستراتيجية والتجارية على مر العصور، فقد ذكرها اليونان والرومان وكانوا يسمونها

1- جودت حسنين جودت، شبه الجزيرة العربية، دراسة في الجغرافية الإقليمية،القاهرة،1983، ص183.
2- خلف راجح جيناوي، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية – الخصائص الجيبولتيكية للموقع الجغرافي واثرها في العلاقات الدولية ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية، 1989، ص9 .
3- مضيق باب المندب: هو المدخل الجنوبي للبحر الاحمر، وكان يسمى (ذا المندب)، كما انه يسمى ايضاً(باب الدموع) . وسبب تسمية المضيق بباب المندب يرجع الى الخطورة التي كانت تتعرض لها السفن خلال مرورها بسبب وجود مجموعات من الصخور البارزة التي تعترض طريق الملاحة، كما اطلق عليه ايضاً اسم (مدخل الوفاء او الولاء) ويقع بين البحر العربي وافريقيا ويربط البحر الاحمر بخليج عدن .
للتفاصيل ينظر: عبد الله شاكر الطائي، النظرية العامة للمضائق ، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، 1974، ص262؛ قصي كامل شبيب ، اهمية مضيق باب المندب في التأريخ الحديث والمعاصر ، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1994، ص13 .
4- أهم هذه الجزر جزيرة (بريم Perm) . وقد سمى العرب هذه الجزيرة (جزيرة ميون) نسبة الى القرية التي يقيم فيها سكان الجزيرة، وتتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الاحمر وتبعد تلك الجزيرة عن عدن بمسافة (96) ميلاً ويبلغ طولها اكثر من ثلاثة اميال وعرضها حوالي ميلين . ومن الجزر المهمة الاخرى جزيرة (سومطرة) وتقع هذه الجزيرة بمحاذاة الساحل الشرقي من خليج عدن ، ويبلغ طولها حوالي (75) ميلاً، وعرضها حوالي (23) ميلاً، وجزيرة (كمران) وتقع شمال مضيق باب المندب وتعد اكبر الجزر وتتمتع بموقع استراتيجي مهم بالنسبة لمدخل البحر الاحمر وسواحل الجزيرة العربية .
للتفاصيل ينظر: صبري فارس الهيتي، الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر، مجلة آفاق عربية، العدد التاسع، مايس ، 1984، ص36؛ حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ الجزر اليمنية ، بيروت، 1972، ص22؛ عمر رضا كحاله، جغرافية شبه جزيرة العرب، ط2، مراجعة احمد علي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة ، د.ت، ص318 .

(Adana او Athana)[1] . وقد إرتبط تأريخ عدن بتأريخ الركن الجنوبي الغربي للجزيرة العربية، وبتأريخ اليمن التي تغطي هذا الركن وتمتد من جنوب نجد والحجاز في الشمال الى البحر العربي في الجنوب، ومن حدود عمان والربع الخالي شرقاً الى البحر الأحمر ومضيق باب المندب غرباً، وكانت عدن مركزاً للسيطرة على هذا الجزء كله[2] .

أما عن تسمية عدن، فقد ظهرت عدة آراء حول تسميتها ، واكثر الآراء قبولاً ما ذكره ياقوت الحموي : **" إن عدن هو من قولهم عدن بالمكان، أي أقام به نتيجة للعدوان اليها، أي انها كانت دار إقامة واستقرار تبعاً لما كانت تتمتع به من مميزات كثيرة وبذلك سميت عدن "[3] .**

ومهما يكن من أمر التسمية، فإن موقع عدن يمنحها أهمية كبيرة، فهي تقع على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية على خطي عرض (14 ، 12) درجة شمالاً وخطي طول (46 ،44) درجة شرقاً[4]. وتبلغ مساحة عدن (207) كيلومتر مربع[5] . يحدها من الشمال سلطنة لحج ومن الغرب سلطنة لحج والبحر العربي ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الشرق مقاطعة أبين[6] . وتبلغ المسافة بين عدن وباب المندب حوالي (110) كيلومتر، وعلى هذا فهي تتحكم نوعاً ما في المدخل الجنوبي للبحر الاحمر[7] . وتشمل منطقة عدن شبه الجزيرة التي تضم مدن: عدن، والمعلا، والتواهي، وخورمكسر، ومدينة الشيخ عثمان، وبئر جابر، والعماء، ومدينة بئر ناصر، التي تزود عدن بالماء الصالح للشرب[8] .

1- عبد الله احمد الثور، هذه هي اليمن، مطبعة المدني، صنعاء، 1969، ص45.
2- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر 1839- 1918، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976، ص23 .
3- ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الرابع، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1957، ص89.
4- عبد الله سعيد ومازن مغابري، موسوعة أطلس العالم، ط1، دار الرضوان، حلب، 2003، ص35.
5- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة للطبع والنشر، بيروت، 1977، ص1191.
6- محمود الشرقاوي، جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الإنجلو المصرية، دار القاهرة للطباعة، 1959، ص12.
7- سعيد عوض باوزر، معالم تأريخ الجزيرة العربية، ط1، عدن، 1966، ص217.
8- مصطفى مراد الدباغ، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام، ج2، منشورات دار الطليعة، بيروت، 1967، ص9.

ولعدن مميزات طبيعية هائلة حيث بنيت على حافة فوهة بركانية، عرفت باللغة الإنكليزية بإسم كريتر ((Grater)) . وهذا الاسم يطلق على أحد أحياء مدينة عدن حالياً[1] . ويصف صلاح البكري عدن قائلاً : **" تراها قابعة فوق فوهة بركان خامد مكونةً لها لسانين من الأرض الرملية تتخللها صخور قاتمة اللون "[2] .**

كما إنها إتخذت شكل قلعة طبيعية رائعة تحف بها سلسلة شبه دائرية من الجبال[3] . وتشاهد سلسلة الجبال هذه من مسافة بعيدة، وعلى قممها توجد العديد من الابراج والقلاع الصغيرة . ولعدن بوابتان إحداهما للقادمين الى المدينة من البر، والاخرى تقع وسط سور ساحل صيرة للقادمين الى المدينة من البحر، واقيم على جزيرة صيرة حصن منيع أشبه بالقلعة الجبارة[4] ، وتجدر الإشارة الى اهمية جزيرة ((صيرة)) التي تتميز بموقعها الاستراتيجي المهم، اذ يبلغ ارتفاعها (430) قدماً فوق مستوى سطح البحر، الأمر الذي يتيح لها ان تتحكم في مدينة عدن وميناَئها الرئيسي[5] .

أما أرض عدن فهي جرداء ، لا ينبت فيها شئ، ولا يوجد فيها مصدر للمياه سوى مياه الأمطار، التي تخزن في صهاريج . والغرض من إنشاء هذه الصهاريج هو تجميع مياه الأمطار، وتتميز الصهاريج بضخامة أحواضها وإتساعها، حتى قدر بأنها تستوعب حوالي ثلاثين مليون غالونٍ، وقد بنيت بناءً متيناً محكماً في المنحدرات بين الجبال، وقد حفر بعضها في الصخور سداً فوق سد تصب مياه الواحد منها حتى يمتلئ السد الذي تحته، وتعتبر هذه السدود من أجمل الأعمال الهندسية في العالم، ويقصدها السواح من كل مكان[6] .

أما مناخ عدن فيمتاز بأنه معتدل، حيث ان درجة الحرارة لا ترتفع الى اكثر من 43 درجة مئوية، ويكون شهر حزيران أدفأ اشهر السنة في عدن، إذ ترتفع درجة الحرارة في هذا الشهر الى 33 درجة مئوية، ولا تنخفض درجة الحرارة الى ما دون 16 درجة

1- فاروق عثمان أباظة، المصدر السابق، ص24.
2- صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، مطبعة مصطفى البابي،القاهرة، 1949، ص12.
3- Gavin, R.J; Aden under British rule 1839-1967, London, Ghurst Company, 1975, P. 2.
4- جاكلين بيرين، إكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1963، ص ص 73-74.
5- Thomas Marston; The British imperial role in red sea area 1800-1878, the show string press, U.S.A, 1981, P. 19.
6- محمد عبد الحسين الحلي، عدن والصراعات الدولية في البحر الأحمر 1798-1839، رسالة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1988، ص8.

مئوية. لذلك فإن الجو في مدينة عدن أبرد نسبياً من منطقة ((بربره)) الواقعة على الساحل الصومالي المقابل لها، التي تتعرض للرياح القادمة من القارة الأفريقية بإتجاه البحر[1].

وتشرف عدن على فوهة بركان قديم يبلغ إرتفاعه 335 متراً فوق مستوى سطح البحر. ويمتد رأس البركان الى داخل البحر مشكلاً خليجين عميقين يشكلان ميناءين صالحين لرسو السفن المتعددة الأحجام والانواع التي تأتي من مختلف أنحاء العالم[2] .

إن موقع عدن المتميز وأهميتها الإستراتيجية جعل منها مركزاً تجارياً مهماً منذ أقدم العصور، فقد أشار الى أهميتها معظم الجغرافيين العرب . وكذلك أجمع الكثير من المؤرخين والرحالة على ان عدن كانت في العصور القديمة والوسطى محطة مشهورة للتجارة، فقد كانت أقدم أسواق العرب، والميناء الحقيقي الوحيد في شبه الجزيرة العربية، الذي كانت تتبادل فيه السلع الهندية والصينية[3] . كما إنها تعتبر من أكبر محطات تبادل السلع التجارية بين الشرق والغرب لفترة طويلة[4] .

وتؤكد هذه الأهمية لعدن ومينائها، ما ذكره أمين الريحاني في وصفه لهذه المدينة في أثناء رحلته إليها حيث قال : **" إنها مدينة عمومية لا أوربية ولا شرقية ولا غربية، مدينة التجارة والفحم والمضارب العسكرية، فهي من الوجهة الحربية كجبل طارق الشرق، ومن الوجهة التجارية مركز توريد وتوزيع مهم في البحر العربي ومن الوجهة البحرية مستودع لبواخر العالم التي تجري بين الشرق والغرب "[5] .**

أما خليج عدن، فهو ذلك الحوض المائي العميق، الذي يشكل نقطة إتصال بين البحر الأحمر والبحر العربي، ويغطي مساحة تقدر بحوالي (مائتين وخمسة آلاف) كيلو متر

1- ج . ماكندر، مناخ القارات، ترجمة الدكتور حسن طه النجم وآخرون، الجزء الاول، مطبعة الحكومة، بغداد، 1967، ص352 .
2- خلف راجح جيناوي، المصدر السابق، ص11.
3- جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة، 1958، ص82 .
4- نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى، القاهرة، 1973، ص137.
5- أمين الريحاني، ملوك العرب، رحلة في البلاد العربية، ج1،المطبعة العالمية، بيروت،1924، ص342.

مربع، ويصل طوله حوالي (تسعمائة وعشرين ميلاً) . أما عرضه فيصل إلى حوالي (ثلاثمائة) ميل[1] .

إن الموقع والأهمية الاستراتيجية لعدن تؤكد السبب الأساسي في تسابق الدول الأوربية للسيطرة عليها، حيث إنها تمثل منطقة حيوية للإتصال بين تلك الدول والمحيط الهندي، لذلك أصبحت عدن منذ نهاية القرن الخامس عشر من أهم المدن العربية التي تطلع إليها الأوربيون وفي مقدمتهم البرتغاليون فبدأت مرحلة صراع دولي جديد عليها كانت نهايته فوز بريطانيا بالسيطرة على هذه المنطقة الحيوية من العالم[2] .

1- Encyclopedia Britannica, part I, the university of Chicago, Dept of Ala to Arithmetic, U.S.A, 1968, P.P. 85-86.

2- هانز هوليفرتس، اليمن من الباب الخلفي، تعريب خيري حماد، ط2، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1966، ص40؛ محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص8.

المبحث الثاني : بريطانيا وصراع القوى الدولية في منطقة البحر الأحمر

أولاً : الصراع الدولي حول عدن

كان البرتغاليون في مقدمة الدول الأوربية التي إمتد نفوذها الى منطقة البحر الأحمر، فقد أحدثت إكتشافاتهم البحرية في مطلع العصور الحديثة تغييرات جذرية في الأوضاع القائمة في البحار الشرقية[1] ، وكان من أهم أهدافهم إحتكار التجارة الشرقية والسيطرة على مصادرها الأصلية وإقامة حكومة إستعمارية اوربية في الشرق، ومن بين اهم العوامل التي دفعتهم الى هذا التوجه هو تفوقهم العسكري على مجتمعات الشرق، بإمتلاكهم لسلاح المدفعية، الذي لم يكن معروفاً آنذاك في الشرق[2] .

وبما إن عدن تسيطر على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وتتحكم فيه وفي السواحل المطلة عليه، سواء كانت على الساحل الأفريقي او الآسيوي[3]، فقد شهدت إزدهاراً في مختلف العصور، بل إنها إشتهرت بكونها ميناءً منذ فجر التأريخ، وكانت مركزاً مهماً للتجارة وخاصة التجارة الشرقية، وكانت تضم اكثر التجار ثراءً، حتى أصبح سلاطينها يجنون الثروات الكبيرة بفضل ما كانوا يحصلون عليه من الضرائب، التي يفرضونها على المواد التي تمر عبر الميناء وخاصة ((التوابل))[4] . الأمر الذي أدى الى إقدام البرتغاليين على إحتلال عدن لتحقيق هدفهم في السيطرة على التجارة الشرقية، وتحقيق السيادة البحرية على مدخل البحر الأحمر، وإن هذه السيادة تبقى ناقصة ما لم تتم السيطرة على عدن، مفتاح البحر الأحمر واكبر مستودعاته التجارية[5] .

ومن أجل السيطرة على عدن قام البرتغاليون بعدة حملات، ففي عام 1504 وصلت الى ميناء عدن العديد من السفن الحربية البرتغالية وقتل البرتغاليون بحارة السفن العربية التي واجهتهم بطريقة وحشية[6] .

1- علي خضير عباس المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الاحمر 1798-1882، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد، 1997، ص14.
2- صالح رمضان محمود، الصراع البرتغالي في اليمن 1517-1538، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 47، السنة الثانية عشر، البصرة، تموز، 1986، ص136.
3- محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص19.
4- كان للتوابل اهمية كبيرة قبل إكتشاف وسائل التبريد، لأنها كانت الوسيلة الوحيدة التي تؤمن المحافظة على الأطعمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في الرحلات البحرية الى جانب أهميتها في تحسين الطعام . للتفاصيل ينظر: سونيا هاو، في طلب التوابل، ترجمة محمد رفعت، مطبعة الفجالة، القاهرة، 1975، ص46.
5- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص16.
6- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1960، ص115.

وفي الرابع والعشرين من آذار 1513 قام البرتغاليون بتجهيز حملة أخرى للسيطرة على عدن، وكانت الحملة تتكون من عشرين سفينة حربية وألف وسبعمائة جندي برتغالي وسبعمائة جندي هندي[1] . وقاد تلك الحملة القائد البحري البرتغالي ألفونسو دي البوكيرك ((Alfonso de Albuquerque))[2]، الذي أقام إتصالاً مع الأحباش المسيحيين وطلب مساعدتهم في حربه على المسلمين، وبعد حصار دام أربعة أيام للمدينة، إستطاع أهالي عدن صد العدوان البرتغالي، معتمدين على قدراتهم الذاتية، وحصانة مدينتهم الطبيعية، وبسبب تلك المقاومة اضطر البرتغاليون الى الانسحاب الى سفنهم بعد ان تركوا خلفهم عدداً كبيراً من القتلى[3] . وقد إنتقم البرتغاليون لأنفسهم بالقيام بأعمال تخريبية، فأحرقوا حوالي أربعين سفينة كانت راسية في ميناء عدن بعد ان إستولوا على ما تحمله من بضائع[4] .

وأخيراً اضطر البرتغاليون الى الانسحاب نحو مضيق باب المندب، وعادوا الى الهند، وفي طريق عودتهم الى الهند قام البوكيرك بمحاولة عقيمة لاحتلال عدن في نفس العام، إلا أن محاولته باءت بالفشل ، كما إنه قام باحتلال جزيرة (بريم)، وشيد عليها بعض الحصون العسكرية، ولكنه لم يبق فيها طويلاً لعدم توفر الماء الصالح للشرب[5] .

كان توغل البرتغاليين إلى داخل البحر الأحمر عام 1513 ومحاولتهم إحتلال عدن والتي باءت بالفشل نتيجة لصمود أهالي عدن بزعامة الطاهريين[6] ، قد نبه المماليك الى

1- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص118.

2- الفونسو دي البوكيرك: عمل عشرة سنوات في شمال افريقيا واكتسب خبرة عسكرية في الحروب الصليبية، أدرك منذ بداية حملته على عدن صعوبة غلق البحر الاحمر واحتلال عدن، وكان يرغب ان يقترن اسمه بالاستيلاء على مضيق هرمز حيث قال ((لو كان العالم خاتماً لكانت هرمز جوهرته)). عين نائباً لملك البرتغال في الهند بدلاً من ((دالميدا)) في عام 1510. وعمل على إحتلال المراكز البحرية الهامة واقامة الحصون القوية في جميع انحاء المحيط الهندي، لإحكام سيطرة البرتغاليين على مصادر التجارة. مات البوكيرك في الخامس عشر من كانون الاول 1515. للتفاصيل ينظر: علي غنام، كيف نجحت دول اوربية صغيرة في استعمار بلدان كبيرة، مجلة الخليج العربي، العدد الاول، المجلد التاسع عشر، 1987، ص27.

3- Wyman Bury, Arabia in felix or Turks in yemen, London, 1915, P.12;

فاروق عثمان أباظة، المصدر السابق، ص41.

4- عبد الرحمن بن علي بن محمد الربيع، الفضل المزيد على بقية المستفيد في اخبار زيد، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحيه، الكويت، د.ت، ص50.

5- حمزة علي ابراهيم لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، صنعاء، 1978، ص147.

6- الدولة الطاهرية: إستمر حكمها لعدن ثمان وسبعين سنة بدءاً من عام 1454 الى عام 1538 تمركزت في تهامة جنوب اليمن وبلغت أوج عظمتها في عهد السلطان عامر=

خطورة الموقف، ذلك لان وجود البرتغاليين في البحر الأحمر قد حرم المماليك حكام مصر من موارد اقتصادية كبيرة كانوا يحصلون عليها خاصة من الضرائب المفروضة على البضائع الشرقية المارة بمصر، لذلك أقام المماليك قواعد بحرية على السواحل اليمنية وخاصة في عدن وذلك لتحقيق هدفين **أولهما:** إغلاق البحر الأحمر أمام الغزو البرتغالي ، ***والثاني:*** اتخاذ هذا الميناء الهام قاعدة لنشاط المماليك الحربي في المحيط الهندي .

وقد حقق الاسطول المملوكي إنتصارات جزئية على البرتغاليين في بداية المواجهة، إلا ان المماليك لم يرتقوا الى المستوى الذي وصل اليه البرتغاليون من حيث القوة العسكرية والمعرفة البحرية[1] .

وفي أوائل عام 1516 قام المماليك بمحاولة لاحتلال عدن، حيث هيأ ((قانصوه الغوري))، آخر سلاطين المماليك إسطولاً مكوناً من سبع وعشرين سفينة[2]، ولكن الأسطول المملوكي لم يستطع تحقيق هدفه في احتلال عدن ، وذلك لصمود أهالي عدن، ووصول نجدة من الطاهريين بقيادة السلطان عامر بن عبد الوهاب، إضافة إلى حصانة المدينة وإحاطتها بالجبال من كل جانب، حتى تمكنت من رد القوات المملوكية عنها[3] .

وهكذا فشل المماليك في السيطرة على عدن، وكان فشلهم ضربة قاصمة لمشاريع حكام المماليك في مصر لتوغلهم في المحيط الهندي[4].

=بن عبدالوهاب (1488-1517) الذي إستطاع ان يقف بوجه الغزو البرتغالي ويتصدى له. وآخر حكامها السلطان عامر بن داود الطاهري الذي قتله العثمانيون غدراً وإستولوا على عدن في عام 1538 . للتفاصيل ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص132.

1- صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1983، ص14.

2- Hunter, F.M; An account of the British settlement of Aden in Arabia, Frank cass co, LTD, 1968, P. 163.

3- إبن الربيع، المصدر السابق، ص54.

4- محمد أنيس ومحمد رجب جراز، الشرق العربي في التأريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، 1967، ص27.

وأخيراً خضعت دولة المماليك للسيطرة العثمانية في عام 1517[1] بعد معركة الريدانية[2] على يد السلطان سليم الأول[3].

بدأ العثمانيون يتطلعون الى السيطرة على سواحل البحر الأحمر بعد إحتلالهم لمصر مباشرة، مما جعلهم في حالة صراع دائم مع البرتغاليين طوال القرن السادس عشر[4] . وأدرك العثمانيون أن سيطرتهم الفعلية على اليمن وعلى عدن بوجه الخصوص ستحقق أهدافهم في حربهم ضد البرتغاليين، فهي بحكم موقعها الممتاز في جنوبي غرب الجزيرة العربية ، فضلاً عن إشرافها على مضيق باب المندب[5] . لذلك فهي تعتبر منطقة دفاع هامة عن حدود الدولة العثمانية من ناحية الجنوب، كما تمكنهم السيطرة على عدن ضمان سلامة الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز، بالإضافة الى تمكينهم من التحكم في البحرين الأحمر والعربي، فضلاً عن إستخدامها كمركز للتصدي للنشاط البرتغالي في

1- عبد الوهاب القيسي، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية، مجلة الخليج العربي، المجلد الثاني عشر، العدد الاول، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، 1980، ص45.

2- معركة الريدانية: وهي المعركة التي دارت بين العثمانيين بقيادة السلطان سليم الاول والمماليك بقيادة طومان باي نائب السلطان المملوكي في مصر في 23 كانون الثاني عام 1517 في الريدانية إحدى الضواحي الشمالية للقاهرة، تمكن فيها العثمانيون من الانتصار على المماليك والسيطرة على القاهرة والقبض على طومان باي وإعدامه وإنهاء الوجود المملوكي في مصر وإسقاط الدولة المملوكية . للتفاصيل ينظر: شمس الدين محمد بن علي إبن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، ج2، ط1، القاهرة، 1962، ص60؛ احمد فؤاد متولي، الفتح العثماني للشام ومصر، ط1، القاهرة، 1995، ص ص190-199؛ عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون 1516-1916، ط1، منشورات الف باء الاداب، دمشق، 1974، ص63.

3- سليم الاول (1467-1520): هو السلطان سليم بن با يزيد الثاني يلقب بياوز أي ((شديد القسوة))، إستمرت فترة حكمه ثماني سنوات من 1512-1520م. إستطاع خلالها القضاء على دولتين كبيرتين هما الدولة الصفوية في ايران والدولة المملوكية في الشام ومصر في معارك جالديران 1514 والريدانية في عام 1517 على التوالي، وفي عهده اصبح قسم من الاراضي الايرانية والعراقية والحجازية واليمنية خاضعة لحكم الدولة العثمانية، توفي السلطان سليم وعمره خمسين عاماً. للتفاصيل ينظر: شمس الدين سامي، قاموس الاعلام، (استانبول، 1306هـ/1888م)، ج4، ص1612؛ محمد بن احمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط1، القاهرة، 1960، ص ص935-936؛ يلماز أوزتونا، تأريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، ط1، استانبول، 1988، ص ص213-239.

4- احمد محمد بن بريك، اليمن والتنافس الدولي في البحر الاحمر 1869-1914، ط1، دار الثقافة العربية والنشر، عدن، 2001، ص30.

5- عبدالواسع بن يحيى الواسعي، تأريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تأريخ اليمن، ط2، القاهرة، 1947، ص8.

جنوبي البحر الأحمر[1] . وبذلك أصبحت عدن مطمعاً لقوتين هما القوة البرتغالية والقوة العثمانية في آن واحد معاً[2] .

وتكررت محاولات البرتغاليين للسيطرة على عدن، ففي عام 1526 هاجم القائد البرتغالي أيتور دي سلفيرا ((Eitor de silveira)) مدينة عدن، ولكن الرياح أبعدت سفنه عنها قبل ان تحقق اهدافها[3] . إلا انه على الرغم من فشل البرتغاليين المتكرر في محاولاتهم لاحتلال عدن، فقد تمكن دي سلفيرا في شباط عام 1530 من إجبار حاكم عدن عامر بن داود الطاهري (1517-1538) على قبول معاهدة، نصت على إعترافه بالسيادة البرتغالية على عدن، ودفع جزية سنوية للبرتغاليين مقابل إعترافهم بحق العدنيين بالملاحة في المحيط الهندي[4] . وبعد رحيل سلفيرا من عدن بمدة قصيرة، أُبطل العمل بهذه المعاهدة، حيث ألقى عامر بن داود القبض على البرتغاليين الموجودين في ميناء عدن وسخرهم في صناعة الاسلحة، مظهراً بذلك إخلاصه لمدينته أمام أهالي عدن، الذين إتهموه بالتخاذل أمام البرتغاليين، عندما وافق على قبول تلك المعاهدة[5].

استمرت محاولات حكام عدن للمحافظة على إستقلالها، فهم تارة يقيمون علاقات ودية مع البرتغاليين المتفوقين بحرياً حرصاً على عدم تعرض عدن للاحتلال من قبلهم، وتارة يتقربون الى العثمانيين خشية الهجوم عليها من داخل اليمن او من ناحية البحر[6] . إلا أن حاكم عدن عامر بن داود كان يرغب في الحصول على الدعم العثماني للوقوف بوجه الأطماع البرتغالية في عدن، لذلك كتب الى السلطان العثماني سليمان القانوني 1520-

---

1- فاروق عثمان أباظة، المصدر السابق، ص49.
2- طارق نافع الحمداني، عدن بين مطامع البرتغاليين ومطامح العثمانيين خلال النصف الاول من القرن السادس عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 42، السنة الحادية عشر ، البصرة، 1985، ص172.
3- صالح محمود رمضان، المصدر السابق، ص140-141.
4- علي خضير عباس المشايخي، المصدر السابق، ص21.
5- طارق نافع الحمداني، المصدر السابق، ص173.
6- فاروق عثمان أباظه، المصدر السابق، ص48.

1566[1] كتاباً أبلغه فيه الدخول في طاعته[2] ، ويبدو أن موقف سلطان عدن هذا في تقارب بين أهالي عدن والعثمانيين يعود الى تقاربهم في الديانة والمعتقد، كونهم مسلمين، بالإضافة الى ان حاكم عدن كان يهدف من تقربه الى العثمانيين الاستعانة بقوتهم، ليتمكن من مواجهة البرتغاليين . التي تكررت محاولاتهم في السيطرة على عدن لتحقيق أهدافهم الاستعمارية في السيطرة على تجارة الشرق، بالإضافة الى تهديدهم في احتلال العتبات المقدسة للمسلمين .

وجاء موقف عامر بن داود منسجماً مع رغبة السلطان سليمان القانوني، وذلك لأن السلطان كان يدرك اهمية بلاد اليمن وخصوصاً عدن للإمبراطورية العثمانية ، ففي حالة الاستيلاء عليها ستكون منطقة إرتكاز أساسية لتدعيم نفوذ العثمانيين في البحر الأحمر[3] . تلك الرغبة دفعت السلطان العثماني ان يوجه نظره الى اليمن، ومما شجعه على هذا التوجه الصراع المرير بين الإمامة الزيدية المتمركزة حول مدينة صعدة في الشمال، وبين الدولة الطاهرية في الجنوب، هذا الصراع الذي انتهى بسيطرة الإمامة الزيدية التي استطاعت ان تمد نفوذها الى باقي أجزاء اليمن لملئ الفراغ الذي خلفته عدن التي إنهارت بإنهيار الدولة الطاهرية عام 1538[4] .

وبناءً على ذلك، فقد أرسل السلطان سليمان القانوني أوامره الى سليمان باشا الخادم والي مصر[5] بتجهيز حملة للاستيلاء على عدن حتى لا يستولي عليها البرتغاليون أو أية

1- سليمان القانوني: هو سليمان إبن السلطان سليم الاول تولى الحكم بعد وفاة أبيه عام 1520 وحتى عام 1566، سار على نهج أبيه في التوسع والسيطرة على اراضي جديدة في شمال افريقيا وتأكيد السيطرة على العراق والتوسع نحو الغرب. وأصدر العديد من القوانين التي أرست قواعد الدولة ولهذا لقب بالقانوني. كما يعتبر عهده حداً فاصلاً بين قوة الدولة وعظمتها وبداية ضعفها وضعف سلاطينها . للتفاصيل ينظر: شمس الدين سامي، قاموس الاعلام، (إستانبول، 1306هـ/ 1888م، ج4، ص1614-1617؛ نيقولاي إيفانوف، الفتح العثماني للاقطار العربية 1516-1574، ترجمة يوسف عطا الله ، ط1، بيروت، 1988، ص ص123-124.

2- طارق نافع الحمداني، المصدر السابق، ص174.

3- فاروق عثمان أباظه، الحكم العثماني لليمن 1872-1918، ط1، القاهرة، 1975، ص15-16.

4- للمزيد من التفاصيل عن الاوضاع الداخلية في اليمن أبان الاحتلال العثماني ينظر: مصطفى سالم السيد، الفتح العثماني الاول لليمن 1538-1635،القاهرة،1969، ص113-126.

5- سليمان باشا الخادم: كان واحداً من مماليك السلطان سليم الأول والمقربين إليه وكان وقت الحملة قد تجاوز الثمانين من عمره وكان سفاكاً للدماء ضعيف العقل عديم الرأي وقد أثبتت الوقائع كفاءته في الشؤون البحرية . للتفاصيل ينظر: قطب الدين محمد بن احمد النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني . (تأريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر)، الرياض، 1967، ص ص70-71.

دولة أوربية أخرى، تحاول إعاقة تقدم الدولة العثمانية في جبهات الشرق[1] . وقد شرع سليمان الخادم بتنفيذ أمر السلطان على الفور، فجهز حملة بحرية مؤلفة من سبعين سفينة مسلحة بالمدافع وعشرين ألف مقاتل[2] . ووصلت تلك الحملة الى عدن في الثالث عشر من آب 1538 وأجبرت حاكمها عامر بن داود على تقديم يمين الولاء والطاعة لممثل السلطان العثماني سليمان القانوني، وفتح عامر بن داود أبواب عدن للجنود العثمانيين للتزود بالمؤن[3] .

وهكذا تم استيلاء العثمانيين على عدن بعد خمسة أيام من وصولهم اليها، أي في اليوم الثامن عشر من شهر آب 1538، وقد أمر سليمان الخادم بقتل عامر بن داود مع عدد من حاشيته من آل طاهر، كما أمر بمصادرة ممتلكاتهم بحجة أنهم حاولوا تسليم عدن للبرتغاليين[4] . على أن كثيراً من المؤرخين قد أنكروا هذه التهمة[5]، وذلك لان عامر بن داود حاكم عدن تقرب الى العثمانيين وكان يأمل في الحصول على مساعدتهم له لدرء خطر البرتغاليين عن بلاده .

لقد أدى مقتل حاكم عدن على يد سليمان الخادم الى استياء أهالي عدن، وعمّ هذا الاستياء جميع أبناء اليمن الذين لم يعترفوا بالولاء للسلاطين العثمانيين، لذلك لم يستقر الحكم العثماني في اليمن، وواجهوا مقاومة عنيفة من ابناء اليمن في الشمال والجنوب، وعلى مدى قرن كامل[6] . وبذلك ضعف الوجود العثماني في البحر الاحمر، ولم يتمكنوا من إغلاقه بوجه البرتغاليين، وذلك لأنهم فشلوا في تكوين جبهة موحدة من القوى الإسلامية المحلية في حوض البحر الأحمر والمحيط الهندي لمجابهة الخطر البرتغالي[7] . . إلا أن العثمانيين ظلوا متمسكين من الناحية النظرية بأنهم أصحاب الحق الشرعي والسيادة في بلاد اليمن حتى بعد إنسحابهم منها عام 1635[8] .

1- محمد فريد بك المحامي، تأريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت،1977، ص100.
2- للمزيد من التفاصيل عن الحملة ينظر: فاروق عثمان أباظه، الحكم العثماني في اليمن1872- 1918، ط2، بيروت، 1979، ص15- 25.
3- صالح رمضان محمود، المصدر السابق، ص145.
4- أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التأريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين، ط1، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1963، ص263.
5- فاروق عثمان أباظه، المصدر السابق، ص51؛ صالح محمود رمضان، المصدر السابق، ص146.
6- للتفاصيل عن مقاومة الشعب اليمني للاحتلال العثماني الأول لليمن (1538- 1635) . ينظر: فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني لليمن،ص20- 27؛ محمد يحيى الحداد، تأريخ اليمن السياسي، ط2، بيروت، 1976، ص324- 325.
7- محمد أنيس ومحمد رجب جراز، المصدر السابق، ص33.
8- احمد فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، معهد الدراسات العالية، القاهرة، 1957، ص158.

مهد ضعف الوجود العثماني في اليمن قبل إنسحابهم منها لظهور قوى اوربية جديدة تمثلت بالهولنديين[1] ، الذين كان لهم أول إتصال بعدن عندما وصل قائد الاسطول الهولندي بيترفان ديبروك ((Peter van debrock)) على رأس بعثة هولندية الى عدن في عام 1614، وارادت هذه البعثة إنشاء وكالة تجارية فيها[2] ، وقد استقبل حاكم عدن العثماني تلك البعثة إستقبالاً ودياً إلا ان حاكم صنعاء لم يسمح له بالاقامة في عدن، وطلب منه مغادرة الميناء حفاظاً على مشاعر التجار الأجانب في عدن، الذين اعتبروا مجيء الهولنديين يشكل خطراً على مصالحهم[3] التجارية . وبعد إنسحاب العثمانيين من اليمن، حاولت هولندا ان تحتل اليمن وتسيطر على الموانئ اليمنية المطلة على البحر الأحمر، إلا ان اليمنيين إستطاعوا إبعاد القوة الهولندية عن موانئهم معتمدين على قدراتهم الذاتية في الدفاع عنها[4] .

أما الدول الأوربية الأخرى التي دخلت مجال المنافسة التجارية في البحر الأحمر ومنها فرنسا، التي كانت تتنافس مع الحكومة البريطانية بهدف السيطرة على البحر الأحمر وعدن، إذ حاولت كل من هاتين الدولتين السيطرة على عدن لتتمكن من خلال هذا الميناء الحيوي بسط سيادتها على البحر الأحمر . وبدأ الصراع يشتد بينهما، حيث بدأت كل من الدولتين تهدد مصالح الدولة الأخرى عبر الطرق المؤدية الى الهند ومنها طريق البحر الأحمر[5] .

ففي عام 1709 أرسلت فرنسا بعثة الى السواحل اليمنية لفتح طريق التجارة مع اليمن، وكان يترأس تلك البعثة دي ميرفيل ((De Merveile)) على ظهر السفينتين كيريز (Curieuse) و ديلجنت (Diligent) التابعتين لشركة سات مالو ((Sat Malo)) الفرنسية، وقد وصلت هذه البعثة الى عدن، وإستقبلها حاكمها إستقبالاً حسناً، ثم غادرت

1- أعلنت هولندا إنفصالها عن اسبانيا عام 1566 واستطاعت خلال فترة قصيرة ان تتصارع مع الأسبان والبرتغاليين واستولت على اكثر مراكزهم التجارية في الشرق حتى توجت أعمالها بتأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية عام 1602 ودخلوا معترك الصراع مع الدول الأوربية المتنافسة في المحيط الهندي . للتفاصيل ينظر: عبد الفتاح أبو علية ، على طريق الهند، مطبعة الأهالي ، بغداد، 1935، ص32.

2- حسن صالح شهاب، أضواء على تأريخ اليمن البحري، ط2، مطبعة العودة، بيروت،1981، ص221.

3- احمد محمد بن بريك، المصدر السابق، ص36.

4- فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية ، ص61.

5- بانكيار ك . م. ، آسيا والسيطرة الغربية، تعريب عبد العزيز توفيق جاويد، دار المعارف ، القاهرة،1962، ص67.

البعثة ميناء عدن[1] ، وإتجهت الى ميناء مخا[2] ، وتمكن دي ميرفيل من عقد معاهدة مع حاكم مخا، واهم بنود تلك المعاهدة ان يعطي للفرنسيين الحق في القيام بالاعمال التجارية في هذا الميناء أثناء النهار، إلا أنه إشترط عليهم العودة الى سفنهم ليلاً، كما انه سمح للفرنسيين برفع علمهم فوق وكالتهم، وحددت الضرائب (الجمركية) على البضائع المباعة بنسبة 3%[3] .

غير أن العلاقات بين فرنسا والسلطات في عدن ومخا توترت فيما بعد، وذلك عندما رفض حاكم مخا دفع الدين الذي كان عليه الى الفرنسيين، وعندئذٍ قام الأسطول الفرنسي بقصف ميناء مخا عام 1738، مما إضطر حاكمها على دفع الدين للفرنسيين[4] . وهكذا فإن التجارة الفرنسية مع اليمن قد إضمحلت تدريجياً، ثم إنقطعت عندما أغلق الفرنسيون وكالاتهم التجارية في اليمن عام 1762[5] . إلا أنه على الرغم من إغلاق الفرنسيين لوكالاتهم التجارية في اليمن حينذاك، فإن فرنسا قد نافست بريطانيا على الموانئ اليمنية ومنها عدن، لتتمكن من السيطرة على البحر الأحمر، الذي يعتبر من أهم الطرق العالمية التي تصل أوربا بالمحيط الهندي . لذلك أصبحت عدن في نهاية القرن الثامن عشر ميداناً للتنافس البريطاني الفرنسي .

1- Marston, op. cit, P. 27.

2- ميناء مخا: من اهم الموانئ اليمنية وكان هذا الميناء المقر الرئيسي لتجارة البن خلال القرن الثامن عشر، وكان سوقاً رائجاً والارباح المتأتية منه كثيرة ومغرية . للتفاصيل ينظر: د. احمد قائد الصائدي، المادة التأريخية في كتابات تيبور عن اليمن، بحث مقدم الى الندوة العلمية حول اليمن عبر التأريخ، جامعة عدن 23- 25 ايلول، 1989، ص107.

3- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص71.

4- Marston, op. cit, P. 27.

5- محمود كامل المحامي، اليمن شماله وجنوبه، دار بيروت للطباعة، بيروت، 1968، ص221.

ثانياً : بداية ظهور النشاط الاستعماري البريطاني في عدن

إتجهت بريطانيا منذ الربع الأخير من القرن الخامس عشر إلى تحقيق تطلعاتها بعيدة المدى في مجال الاستكشاف والتجارة في ما وراء البحار . وكان هدف بريطانيا هو إحتكار تجارة الشرق والوقوف بوجه منافسيها من الدول الأوربية الأخرى على هذه التجارة، ويرتبط إمتداد النفوذ البريطاني إلى الشرق بمسألة التطور الاقتصادي الذي حدث في أوربا منذ أواخر القرن السادس عشر، وقد إنعكس ذلك التطور الاقتصادي على مجريات الأحداث في البحر الأحمر والمحيط الهندي عامة، والجزء الجنوبي من الجزيرة العربية خاصة[1] .

والذي يهمنا هو التوجه البريطاني الى عدن، حيث بدأت بريطانيا بالتوجه إليها، وذلك لأهميتها في السيطرة على البحر الأحمر، لأنه يمتاز بأهمية كبيرة كونه أهم الطرق البحرية العالمية التي تصل الدول الأوربية بالمحيط الهندي[2] . ومن أجل السيطرة عليه، قام عدد من التجار البريطانيين بتوحيد جهودهم وتكوين شركة الهند الشرقية البريطانية (The English East India Company)[3].

وقامت تلك الشركة بعدة محاولات للعمل التجاري في البحر الأحمر ، ومن هذه المحاولات وصول سفينتين بريطانيتين الى عدن في عام 1609 بقيادة الضابط البحري البريطاني شاربي ((Sharpy)) لغرض إقامة علاقات تجارية مع عدن[4] . ولكن هذه البعثة فشلت في محاولاتها للتدخل في جنوب الجزيرة العربية، وذلك لأن العثمانيين إعتقلوا شاربي، وصادروا حمولة السفينة، ثم أطلقوا سراحه بعد ذلك، ورحّلوه الى ميناء مخا[5] .

1- H.L. Hoskins; British Roates to India – Frank cass, co LTD, 1966,P. 103.

2- للتفاصيل عن الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر ينظر: عبد الحميد القيسي وعبد علي الخفاف، البحر الاحمر أهميته الاقتصادية والستراتيجية، البصرة، 1986، ص93- 114؛ محمود توفيق محمود، البحر الاحمر في الاستراتيجية الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد، 57، القاهرة، تموز، 1979، ص32 .

3- حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية على وثيقة إمتيازها من الملكة إليزابيث الاولى (1558- 1603) في الحادي والثلاثين من كانون الاول 1600 . وقد حددت تلك الوثيقة الأهداف التي قامت الشركة من اجلها. وهي خدمة شرف وعزة ورفاه الشعب البريطاني وإنماء الملاحة البريطانية وتشجيع التجارة المشروعة . للتفاصيل حول الموضوع ينظر: محمود عبد الواحد القيسي، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في الهند (1600- 1668)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1993.

4- H. Kour, A history of Aden 1839- 1872, Frank cass, 1981, P. 1.

5- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص66.

وعاودت شركة الهند الشرقية البريطانية محاولاتها ، ففي عام 1610 وصلت بعثة بريطانية الى عدن، يقودها هنري ميدلتون ((Henry Middelton))، وكان يتولى الأمور فيها الحاكم العثماني ((جعفر باشا))، ولم يبق ميدلتون في عدن إلا فترة قصيرة، حيث غادرها الى ميناء مخا، وقد رحّب به حاكم الميناء العثماني ((رجب آغا)) ، غير أن هذا الترحيب لم يدم طويل،اً فسرعان ما هاجم الجنود العثمانيون ميدلتون، وقتلوا ثمانية من رجاله[1] .

وبعد هذه المحاولات جاءت بعثة بريطانية أخرى بقيادة جون ساريز ((Jhon Saris)) عام 1612 بهدف زيارة ميناء مخا اليمني، وكان يتولى الامور فيها حاكم عثماني يسمى ((أدهر))، وقد رحب هذا الحاكم بالبعثة البريطانية، وطلب من ساريز أن ينسى المعاملة السيئة للبعثة السابقة التي قام بها سلفه رجب آغا، كما أصدر الحاكم العثماني لليمن في ذلك الوقت تعليمات تسمح للبريطانيين بحرية التجارة في السواحل اليمنية مع السواحل الهندية[2] .

وحقق البريطانيون بعض النجاح في محاولاتهم الرامية الى إقامة علاقات تجارية مع اليمن، نتيجة لتساهل العثمانيين معهم، بالإضافة الى رغبة العثمانيين في تنشيط التبادل التجاري والاقتصادي مع الشركات البريطانية[3] . وقامت بريطانيا بعد الحصول على هذه التنازلات من قبل العثمانيين بإنشاء عدد من الوكالات التجارية في انحاء البلاد المختلفة[4].

وقد أدرك البريطانيون في النصف الأول من القرن الثامن عشر أن مصالحهم التجارية وتأمين طرق مواصلاتهم تقتضي أن تتم السيطرة على ميناء عدن ذلك المركز التجاري والعسكري، الذي كانوا يتطلعون إليه بكل لهفة، ليتمكنوا من خلاله من السيطرة على البحر الأحمر، ولاتخاذه قاعدة للوقوف بوجه خصومهم من القوى الأوربية الأخرى، التي تطلعت في نفس الوقت وربما قبل البريطانيين للسيطرة على عدن[5] .

1- مصطفى سالم السيد، المصدر السابق، ص427.

2- Play fair, R.L, Ahistory of Arbia felix or Yemen fhilo press, Amesterdam, 1970, P. 108.

3- Play fair; Ibid, P. 110.

4- محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص36.

5- France ston; Studies on the tihamah, London, 1982, P. 45.

ومما شجع بريطانيا على ذلك التوجه نحو عدن هو الحرب شبه المستمرة في اليمن، وتردد القبائل في قبول السلطة المركزية للأئمة، بالإضافة إلى غياب سيطرة الأئمة على جميع أنحاء اليمن وقد شجع هذا الحكام المحليين على الإنفصال عن السلطة المركزية، ففي عام 1735 أعلن السلطان فضل العبدلي (1735- 1742) أنه سلطان لحج وعدن، وشقّ عصا الطاعة على إمام صنعاء[1] .

ومهماً يكن من الأمر فإن أهم الأحداث التأريخية التي دفعت بريطانيا للسيطرة على طريق البحر الأحمر الحملة الفرنسية على مصر، بقيادة نابليون بونابرت[2]، حيث تم إحتلالها في الرابع والعشرين من تموز 1798[3] . وكان الهدف الرئيسي للفرنسيين من إحتلال مصر هو لاتخاذها قاعدة للتوسع في البحر الأحمر لإقامة إمبراطورية في الشرق، ومحاولة الزحف من خلالها الى الهند[4] .

وعلى الرغم من أن محاولات بونابرت، لتأمين طرق تقدم القوات الفرنسية الى الهند لم تكن لها نتيجة، إلا أنها وضحت خطورة الموقف بالنسبة للمصالح البريطانية في الشرق[5]، الشرق[5]، لذلك قامت حكومة الهند البريطانية بنشاط واسع النطاق، للسيطرة على المراكز المراكز الاستراتيجية في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وللوقوف بوجه أية محاولة فرنسية لتهديد المصالح البريطانية في الهند[6] . ففي شهر نيسان عام 1799 تقدمت قوة بحرية قوامها ثلاثمائة جندي بريطاني وهندي يقودها الكولونيل موراي (Morry) تجاه

1- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص165.

2- نابليون بونابرت (1769- 1821) إمبراطور فرنسا: ولد في 15/ آب عام 1769 في أجاكسيو بجزيرة لورسيكا، دخل الكلية الحربية وتخرج برتبة ملازم في سلاح المدفعية عام 1785، اشتهر في تحرير مدينة طولون التي كانت محتلة من قبل بريطانيا، قاد حملة الى ايطاليا عام 1796 وانتصر فيها على النمساويين، ثم قاد حملة على مصر عام 1798، عاد بعد فشلها الى فرنسا حيث قاد إنقلاب على حكومة المديرين واصبح قنصلاً عام 1804 ثم امبراطور ، وقاد معارك ضد جيوش أوربا المتحالفة ضده وإنتصر عليها مرات عديدة، إجتاح روسيا ثم هزم عام 1814 ثم في واترلوا عام 1815 ، نفي الى جزيرة سانت هيلانه في افريقيا وبقي فيها حتى وفاته عام 1821. للتفاصيل ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، دار النهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت، لبنان، 1987، ص1812؛ ميلاد القرمي، تأريخ أوربا الحديث، ط1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1996، ص273.

3- للتفاصيل عن الحملة الفرنسية على مصر ينظر: محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة، د.ت، ص87- 90.

4- صالح محمد العابد ، هل استهدفت الحملة الفرنسية على مصر الهند، مجلة دراسات في التأريخ والآثار، العدد الاول، بغداد، 1981، ص130.

5- فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية، ص83.

6- صالح محمد العابد، المصدر السابق، ص131.

المدخل الجنوبي للبحر الأحمر[1] ، وقامت القوة باحتلال جزيرة بريم (Perim)[2]، لأهميتها الاستراتيجية، كونها تقع في داخل مضيق باب المندب، الذي يربط البحر الأحمر بخليج عدن والمحيط الهندي[3] .

غير أن البريطانيين إنسحبوا من جزيرة بريم، لأنها لا تؤدي الغرض المطلوب للسيطرة على مضيق باب المندب، يضاف الى ذلك رداءة المناخ فيها وعدم وجود مياه صالحة للشرب[4] . وقد أكد موراي في تقريره المقدم الى حاكم بومباي في حزيران 1799 أنه يجد نفسه مضطراً الى الانسحاب، حيث قال " فبريم قاحلة تماماً ومن الصعب العثور على حشرة حية في الجزيرة ولا يرى فيها طيراً واحداً وليس فيها نبات او شجرة تتطلب الماء لنموها "[5] .

وفي شهر آب 1799 وبعد ان عجزت وسائل الحفر من العثور على المياه في الجزيرة، بالرغم من قيام الجنود بالحفر الى عمق 100 قدم ولكن دون جدوى[6]،أخبر موراي حكومة بومباي بعجزه عن الاحتفاظ بجزيرة بريم، وإنسحب الى عدن في الأول من ايلول 1799، بعد ان تلقى دعوة من سلطان عدن احمد بن عبد الكريم بن فضل العبدلي لاستقبالهم في أراضيه[7] . وقد إستقبل السلطان احمد المقدم موراي بكل حفاوة،

1- فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية، ص83.

2- Play fair; op. cit, P. 122.

3- أكدت الوثائق البريطانية على اهمية جزيرة بريم الاستراتيجية لأنها تسيطر على المدخل الجنوبي للبحر الاحمر، على الرغم من خلوها من الماء الصالح للشرب . للتفاصيل ينظر: نص تقرير البحرية الهندية المحفوظ في دار الكتب والوثائق . بغداد تحت رقم
F.O., 1,5/ 1126, Lyton and others of marquis of Salisbury, 8th November, 1877, P.P. 1- 3 .

4- أكدت هذه الحقيقة اغلب المصادر التي تناولت تأريخ اليمن، ينظر: عبد الواسع بن يحيى الواسعي، المصدر السابق، ص73؛ قحطان محمد الشعبي، الاستعمار البريطاني ومعركتنا في جنوب اليمن، القاهرة، د.ت، ص24؛ صلاح البكري، المصدر السابق، ص15.

5- نقلاً عن صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798-1810، مطبعة العاني، بغداد، 1978، ص93.

6- المصدر نفسه، ص93 .

7- السلطان احمد عبد الكريم (1798 – 1827) خلف أخاه السلطان فضل بن عبد الكريم لانه أي السلطان فضل لم يعقب نسلاً وشهد عصره التنافس الأوربي ممثلاً بفرنسا وبريطانيا . وتعد فترة حكم السلطان احمد بن عبد الكريم من افضل الفترات، فقد إزدهرت سلطنة لحج وعدن، ويعود ذلك الازدهار الى سياسته الجيدة ومحاولاته في دفع وتطوير اقتصاديات السلطنة عن طريق تنشيط تجارة عدن وجذب التجار للاقامة في بلاده، ومن مظاهر سياسته الداخلية إنه كان لديه جيش منظم . للتفاصيل ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص ص181- 182 .

وأعرب عن رغبته في الحصول على الحماية البريطانية لبلاده[1] . وقد جاءت هذه الرغبة منسجمة مع الوصف الذي خرج به موراي عن مدينة عدن، حيث وجد فيها مرفأ جيداً وامكانيات ممتازة يمكن ان يجعل منها افضل قاعدة بريطانية في شبه الجزيرة العربية[2] .

ولذلك قام موراي بتحويل طلب السلطان احمد الى جونتان دونكان ((Duncan)) حاكم بومباي، الذي قام بدوره بتحويل ذلك الطلب الى اللورد ويسلي ((Wellesly)) الحاكم العام للهند ((1798- 1805))، إلا ان ولزلي رفض شروط السلطان احمد خوفاً من ان يصبح البريطانيون متورطين في النزاعات الداخلية في اليمن بين القبائل وأئمة صنعاء[3] . بالإضافة الى ان بريطانيا كانت تخشى من ان يؤدي إعلان قبول الحماية على على عدن الى إغضاب منافسي السلطان احمد من شيوخ القبائل الأخرى وجعلهم يتقربون الى فرنسا[4] .

واستمرت بريطانيا في محاولاتها لتنشيط تجارتها بين سواحل البحر وممتلكاتها في الهند، غير ان هذا النشاط التجاري بدأ يتدهور نتيجة للسياسة التي إنتهجتها الدولة العثمانية حينذاك، وسايرها فيها السلطان احمد بن عبد الكريم سلطان لحج وعدن، فالبن اليمني الذي كان يرسل الى اوربا والهند اخذ طريقه الى مصر وحملته القوافل من جدة الى مكة ثم الى الدولة العثمانية[5] ، يضاف الى ذلك دخول السفن الأمريكية الى ميدان المنافسة التجارية في البحر الاحمر، حيث إشترت تلك السفن كميات كبيرة من البن اليمني، وبدأت تتعامل بصورة مباشرة مع المنتجين الأصليين[6] .

لذلك سارعت شركة الهند الشرقية البريطانية الى إرسال الكومودور السير بويهام ((Commodore sir Popham)) قائد السفينة رودني ((Rodny)) عام 1801 في

1- يؤكد المؤرخ كور ان السلطان احمد إتخذ هذا الموقف بسبب إحاطته بالكثير من الاعداء ومنهم السلفيين إضافة الى إمام صنعاء . وقد ظن السلطان أحمد ان القوة الوحيدة القادرة على دعمه هي الحكومة البريطانية في الهند، هذا فضلاً عن إعتقاده بأن التحالف مع بريطانيا من شأنه إنعاش الحركة التجارية في عدن .

2- Kour, op. cit, P. 5.

3- Ibid, P. 5.

4- صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي، ص95 .

5- Marston ; op. cit, P. 31- 32.

6- من الجدير بالذكر ان العلاقات التجارية الامريكية في منطقة البحر الاحمر ترجع الى عام 1798، حينما وصلت اول سفينة امريكية تدعى ريكوفيري ((Recovery)) الى ميناء مخا. وفي عام 1804 حصلت موافقة الامام علي بن عباس المنصور على إنشاء مركز تجاري امريكي في ميناء مخا، فكان ذلك إيذاناً بزيادة النشاط التجاري الامريكي هناك . للتفاصيل ينظر: أريك ماكرو، اليمن والغرب، ترجمة حسين عبد الله العمري، د.ت، ص72.

بعثة الى البحر الأحمر لعقد الاتفاقيات التجارية تبعاً لما تتطلبه المصالح البريطانية، وطلبت منه التوصل الى عقد معاهدات تجارية مع إمام صنعاء علي بن عباس المنصور (1774- 1809) واحمد بن عبد الكريم سلطان لحج وعدن[1] . إلا ان بويهام الذي عينته بريطانيا مندوباً سياسياً لها في الجزيرة العربية عام 1802، قد فشل في عقد معاهدة تجارية مع علي بن عباس بن المنصور إمام صنعاء، وذلك لخوفه من التدخل الاجنبي في شؤون بلاده[2]، ومما يؤكد رفض الإمام للتدخل الأجنبي في شؤون بلاده إصداره امراً بمنع الإمدادات عن السفن الفرنسية في كل الموانئ اليمنية، ويعتبر ذلك القرار من قبل الإمام هو المكسب الوحيد الذي خرج به البريطانيون من بعثة بويهام الى صنعاء[3] .

وبعد فشل تلك البعثة في عقد معاهدة تجارية مع حاكم صنعاء، توجهت البعثة البريطانية بقيادة بويهام الى عدن، لتعقد مع حاكمها السلطان احمد بن عبد الكريم معاهدة تجارية تصب في خدمة المصالح البريطانية . وقد تمكن بويهام من إقناع السلطان احمد سلطان لحج وعدن بعقد معاهدة للصداقة والتجارة، حيث أبدى السلطان احمد رغبته في التعاون مع البريطانيين، كما وعد بويهام السلطان احمد بالمساعدة اذا تعرض للهجوم من قبل الفرنسيين، إلا أن السلطان احمد لم تكن لديه خشية من الفرنسيين، وان كل ما يطلبه من البريطانيين هو مساعدتهم له في الرد على جيرانه من القبائل المجاورة له اذا إعتدوا على سلطنته[4] .

وعلى أية حال فقد تم إبرام المعاهدة بين السلطان احمد وحكومة الهند البريطانية في السادس من ايلول عام 1802، ووقع عليها السير بويهام نيابة عن اللورد ويسلي الحاكم العام للهند حينذاك، في حين وقعها الأمير ((احمد باصهي)) امير عدن، نيابة عن السلطان احمد بن عبد الكريم[5] .

وبموجب بنود تلك المعاهدة إتفق الطرفان على إيجاد نوع من التبادل التجاري بين تجار شركة الهند الشرقية البريطانية وبين رعايا السلطان احمد بن عبد الكريم . وتم

1- في عام 1774 توفي الإمام عباس الملقب بالمهدي وخلفه إبنه علي الملقب بالمنصور، وكانت أيام هذا الإمام من أشد أيام اليمن فوضى وعدم إستقرار بسبب تعدد السلطات ومراكز القوى والرشوة. للتفاصيل ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ط1، صنعاء، 1978.

2- Play fair, op. cit, P. 136.

3- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص90.

4- Kour, op. cit, P. 13.

5- Water field; Gordan, sultans of Aden, London, 1968, P. 27; فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية، ص 86 .

الاتفاق على فتح ميناء عدن أمام السفن البريطانية،لإستقبال جميع البضائع التي تحملها تلك السفن مقابل دفع ضريبة كمركية قدرها 2%، على ان تزداد هذه النسبة الى 3% بعد مرور عشرة سنوات من تأريخ توقيع المعاهدة . كما نص احد بنود المعاهدة على حرية البريطانيين في العمل داخل أراضي السلطان وعلى نقل ثرواتهم متى يشاؤون وبالوسائل التي يعتقدون أنها ملائمة لهم . وتقرر ان تحول الخلافات بين الرعايا البريطانيين الى الوكيل البريطاني هناك، لينظر بها وفقاً للقوانين المطبقة في بلادهم ، في حين ينظر سلطان عدن بالخلافات التي تحدث بين رعاياه والرعايا البريطانيين وفقاً لقوانين بلاده .

وبالإضافة الى كل تلك البنود، فقد وافق السلطان على تحديد قطعة من الأرض لدفن الموتى البريطانيين دون دفع أية ضرائب عن ذلك . كما تعهد السلطان ببيع قطعة من الأرض غربي عدن الى شركة الهند الشرقية البريطانية لإقامة ما تحتاجه من المباني والمخازن[1] .

من خلال ما تقدم يتضح لنا إن بنود تلك المعاهدة لم يكن فيها أي مكسب يمكن ان يسجل للسلطان احمد بقدر ما كانت مكرسة لمنح البريطانيين مزيداً من التسهيلات والامتيازات التجارية في عدن، ففي الوقت الذي اصبح فيه التجار البريطانيون يدفعون ضرائب كمركية مخفضة عن بضائعهم، كان آخرون من غير البريطانيين يدفعون ضرائب بنسب عالية . إن تخفيض الرسوم على بضائع البريطانيين التي تحملها سفنهم، قد فسح المجال أمامهم لا لتصريف بضائعهم فحسب بل لاحتكار السوق التجارية في عدن بشكل كامل لصالح شركة الهند الشرقية البريطانية[2] .

كما يتضح من قراءة بنود المعاهدة أنها عقدت بين أطراف غير متكافئة وانها تصب في مصلحة بريطانيا بالدرجة الأولى . وكان الغرض من عقدها من اجل جس نبض أئمة صنعاء حول مدى صدق إدعائهم بالسيادة على جميع بلاد اليمن، حيث كانوا ينادون بأن عدن ومناطق جنوب الجزيرة العربية الأخرى هي من ضمن أراضيهم . ونجحت بريطانيا في عملية جس النبض هذه ، حيث كان موقف الحكومة في اليمن من هذه المعاهدة مجرد

1- للمزيد من التفاصيل عن المعاهدة ينظر:
Jacob, Haroldf, Kings of Arabia, The rise and set of Turkish sovernty in the Arabian peninsula, London, 1923, P. 26;
قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص25- 26؛ حمزة علي إبراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص178- 181.
2- قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص26؛ علي خضير عباس المشايخي، المصدر السابق، ص91؛ فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية، ص86 .

الصمت، وتأكد لبريطانيا أنها اذا ما فكرت في غزو عدن فلن يواجهها غير أهالي عدن والمناطق المجاورة لها فقط، أي (قبائل العبدلي والفضلي والعقربي)[1] . وعلى الرغم من ان هذه المعاهدة التي وصفها الكاتب الانكليزي جاكوب بانها " رائعة بالنسبة للبريطانيين "[2]، بينما اعتبرها توم لتل ((Tom Little)) أنها **((أول تورط لبريطانيا في جنوب الجزيرة العربية))**[3] ، بقيت تلك المعاهدة نافذة حتى وفاة السلطان احمد بن عبد الكريم العبدلي في عام 1827، حيث نقضها خليفته السلطان محسن بن فضل العبدلي (1827- 1847) الذي لم تتفق طموحاته الواسعة مع مطامع البريطانيين في عدن[4] . وتعد البداية الفعلية للتغلغل الاستعماري البريطاني في عدن، كما تعد البداية للتدخل البريطاني في شؤون السلطات الداخلية من خلال الاعتراف للمقيم البريطاني بالتدخل في النظر بالمنازعات بين الرعايا البريطانيين الذين يسكنون في عدن، وكذلك تحديدها للرسوم الكمركية بنسبة تقل كثيراً عما يتقاضاه السلطان من قبل .

لقد تزايد اهتمام بريطانيا بعدن بعد الزيارة التي قام بها اللورد فالنتيا ((Lord Valentia)) في عام 1802 الى موانئ البحر الاحمر والمحيط الهندي واستغرقت تلك الرحلة اربع سنوات[5] ، حيث إبتدأها بعدن، ووصل الى الهند عام 1805، وعاد الى بريطانيا في عام 1806، وبعد عودته قدم تقريراً عن منطقة البحر الاحمر الى ((جورج كاننك))، الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية آنذاك[6] . وقد جاء في تقرير فالنتيا :**" إن عدن هي بمثابة جبل طارق الشرق وإنها من الممكن ان تصبح حصينة بمبالغ قليلة ".** كما انه اوصى بتأسيس وكالة تجارية في المدينة وتعيين مقيم دائم بها وإنشاء سكن للعاملين فيها[7] .

1- قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص27؛ محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص93.

2- Jacob, op. cit, P. 65.

3- Tom Little, south Arabia, Area of conflict, London, 1968, P. 57.

4- محسن بن فضل العبدلي: هو إبن عم السلطان احمد بن عبد الكريم ، تولى امور السلطنة بعد وفاته لانقطاع ذرية آل عبد الكريم . وقد اصبح الحكم في ذريته التي عرفت بآل محسن . وفي عهده إحتلت بريطانيا عدن في التاسع عشر من كانون الثاني 1839 هذا الاحتلال الذي ترتب عليه إقتطاع اهم جزء من سلطنة العبادله الذين اعتبر نفوذهم في لحج . وقد ظلت فكرة إسترجاع عدن من البريطانيين تسيطر على فكر السلطان محسن إلا انه لم ينجح في محاولاته لتحقيق ذلك الهدف . للتفاصيل ينظر: أمين الريحاني، المصدر السابق، ص358؛ حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص192- 193 .

5- Kour, op. cit, P. 4.

6- Marston, op. cit, P. 40.

7- Kour, op. cit, P. 5.

ويعد هذا التقرير على جانب كبير من الأهمية، لأنه بيّن للحكومة البريطانية أهمية عدن التجارية، وانها تحتل موقعاً ذا أهمية كبيرة في المنطقة، حيث إنها تتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، الذي يمتاز بأهميته الكبرى في ميادين الاقتصاد العالمي، كونه الطريق الذي يربط الدول الأوربية ومنها بريطانيا بمستعمراتها في الشرق . لذلك فإن الحكومة البريطانية أدركت أهمية عدن الاستراتيجية بالنسبة لمصالحها ، وقامت بالتصدي لكل القوى التي حاولت ان تسيطر على عدن في بداية القرن التاسع عشر، وأهمها محاولة والي مصر محمد علي السيطرة على عدن .

ثالثاً : موقف بريطانيا من تحركات محمد علي نحو عدن

بدأت بريطانيا بمراقبة التوسع المصري في جنوب شرق الجزيرة العربية حيث قام والي مصر الطموح محمد علي[1] بضم العديد من تلك المناطق في محاولة منه لتوسيع الرقعة الجغرافية لبلاده، حيث كان يطمح الى إقامة دولة عربية كبرى ، ومن اجل تحقيق هذا الطموح فإنه أرسل حملة بقيادة ابراهيم باشا للقضاء على الحركة الوهابية[2] . وقد تمكنت الحملة من التغلب على الوهابيين واقتحمت عاصمتهم الدرعية في التاسع من أيلول 1818 بعد حصار دام ستة اشهر، اضطر أمير الدرعية عبد الله بن سعود الى الاستسلام بعد سقوط عاصمته الدرعية وأرسل الى الاستانة[3] ، حيث أمر السلطان محمود الثاني بإعدامه[4] .

وبعد نجاح محمد علي في ضرب القوة السعودية تحت ذريعة المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية، فإنه توجه الى جزء آخر من الإمبراطورية العثمانية مستغلاً نفس الذريعة، حيث تمكنت جيوشه من السيطرة على السودان في عام 1821، وكان هدفه من

1- ولد محمد علي عام 1769 في مدينة قولة تلك المدينة الواقعة في بلاد مقدونيا، عين والياً على مصر في عام 1805، وقد حاول محمد علي ان يقيم علاقة صداقة ومنفعة تجارية مع بريطانيا واراد ان يحصل على مؤازرة البريطانيين له في تنفيذ مخططه في بناء إسطول تجاري وحربي في البحر الاحمر . غير ان محاولته تلك باءت بالفشل ويعود السبب في ذلك الفشل الى تعاطف بريطانيا مع الدولة العثمانية بالإضافة الى اطماعها في البحر الأحمر، لذلك وقفت بريطانيا بوجه محمد علي وفرضت عليه الإنكفاء داخل حدود مصر وكان ذلك في معاهدة لندن عام 1840 التي وقعت عليها بريطانيا وفرنسا وروسيا والدولة العثمانية ، توفي محمد علي في القاهرة في 3 آب 1849 . للتفاصيل ينظر: محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 192.

2- الحركة الوهابية: نشأت هذه الحركة في بلاد نجد وسط الجزيرة العربية على يد مؤسسها محمد بن عبد الوهاب (1703- 1792) والذي كان قد درس الفقه على مذهب الإمام احمد بن حنبل، وطاف في اكثر البلاد الاسلامية، فبدأ بالمدينة ثم البصرة ثم بغداد ورجع الى بلدته (العينية) حيث إعتكف عن الناس ثمانية شهور. ثم خرج عليهم بدعوته الجديدة ، وكان أتباعه يطلقون على انفسهم تسمية (السلفيين او الموحدين) وعندما عرض إبن عبد الوهاب دعوته على امير الدرعية محمد بن سعود قبلها، فتعاهد الإثنان على نشرها والدفاع عنها واعتبر السلطان سليم الثالث (1789- 1807) موقف ابن سعود خروجاً على طاعته ، لذلك وجه اوامره الى محمد علي للقضاء عليه . للتفاصيل ينظر: صلاح العقاد، جزيرة العرب في العصر الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969، ص839 .

3- عبد الرحمن الرافعي، تأريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر (عصر محمد علي)، ط2، القاهرة، 1947، ص155.

4- السلطان محمود الثاني: هو إبن السلطان عبد الحميد الاول، تولى امور الدولة في عام1808. كان متأثراً بالأنظمة العسكرية المستخدمة في جيوش اوربا، لذلك إهتم بالجيش والغى طائفة الانكشارية، إستعان بمحمد علي للقضاء على الوهابيين، كذلك فانه إهتم بإصلاح الاوضاع الداخلية للبلاد، توفي السلطان محمود الثاني في الاول من تموز 1839 . للتفاصيل ينظر: محمد فريد بك، المصدر السابق، ص197- 237.

السيطرة على السودان ، أنها تمثل العمق الاستراتيجي لمصر، كما كان الهدف المهم أيضاً هو السيطرة على منابع نهر النيل، وأشيع في نفس الوقت وجود مناجم الذهب في السودان، لذلك كان يطمح في السيطرة عليها لتمويل حملاته العسكرية إضافة إلى ان إستيلاءه عليها يحقق له السيطرة على البحر الأحمر بعد ما نجح في القضاء على السعوديين وبسط نفوذه على الساحل الشرقي لذلك البحر[1]. وقد زادت قوة محمد علي العسكرية وسياسته الإقليمية في عام 1833 في المنطقة . واصبح جيشه قوة ضاربة ، فلم يعد جيش السلطان محمود الثاني يمثل أي تحدٍ جدي لمحمد علي[2] .

وتوغلت قوات محمد علي باتجاه الخليج العربي بعد سيطرتها على الدرعية، وبذلك اصبح لمحمد علي في ذلك الوقت نوع من السيادة في ظل التبعية العثمانية على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وإمتدت السيادة المصرية الى حدود الحبشة . وهكذا تمكن محمد علي من السيطرة على جزء كبير من جانبي حوض البحر الأحمر[3] . الأمر الذي أدى الى بدئ بريطانيا بمراقبة تحركاته نحو مدينة عدن، لأن تنامي قوة مصر في تلك المنطقة يهدد مصالحها في الشرق[4] . ومما زاد من مخاوف بريطانيا من مشاريع محمد علي التوسعية في منطقة البحر الأحمر حديثه الى الجنرال الفرنسي بوايير ((Boiyer)) وهو من كبار معاونيه ومستشاريه العسكريين، الذي وضح فيه أهدافه بصراحة حيث قال: **" إنه سيعمد الى تجنيد كتائب جديدة من جيشه ولا يقف بهذا الجيش إلا على ضفاف دجلة والفرات، وإنه سيستولي على بلاد اليمن ومضيق باب المندب، وإن جيوشه ستملأ الجزء الأوسط من بلاد العرب، وترفع أعلامها في سماء القطيف الواقعة على الخليج العربي "[5]**. يتضح من خلال هذا التصريح أن محمد علي كانت لديه مثل هذه الرغبة فإستيلاؤه على السودان والحجاز وسوريا جعله في موقف قد يسمح له بتنفيذ هذا المشروع الضخم[6] .

1- سليمان بن محمد الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية في الجزيرة العربية 1811- 1840، ط1، جدة، 1980، ص28.

2- يمكن القول ان تلك الفترة تمثل القمة لقوة محمد علي، وعلى العكس من ذلك فإنها تمثل الانهيار او الانحدار التدريجي للدولة العثمانية نحو الهاوية . للتفاصيل عن تأريخ الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ينظر: حسين لبيب ، تأريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، القاهرة، 1921، ص64- 71.

3- Marston, op. cit, P. 48.

4- سليمان الغنام، المصدر السابق، ص99.

5- ابراهيم خليل احمد، تأريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516- 1916، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، 1983، ص51- 52.

6- جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969، ص64.

إلا انه من غير الممكن أن تسمح بريطانيا لقوة محلية نامية أن تسيطر على تلك المنطقة المهمة والمؤثرة في مصالحها الإستراتيجية، وهي قوة محمد علي، على الرغم من أن محمد علي قد حرص منذ البداية على كسب رضا بريطانيا وتأكيد صداقته لها، وإنه لا يتعارض مع مصالحها، ولا ينوي التقدم نحو عدن، فقد بدأت العلاقات بين مصر وبريطانيا بالتدهور، خصوصاً بعد علمها بتوجه محمد علي نحو عدن، لذلك فإن بريطانيا كانت قلقة جداً لهذا التوجه، لاسيما بعد ورود تقارير من ممثليها في الشرق، والتي أكدت على ان محمد علي سيوجه قواته الى ميناء مخا، بهدف السيطرة على عدن، وإنه إذا قدر لمحمد علي ان ينجح في ذلك، فإنه سيقطع الطريق الحيوي لبريطانيا، الذي يصلها بالهند عبر البحر الأحمر[1] .

لذلك وجه بالمرستون ((Palmerston)) وزير خارجية بريطانيا[2]، تعليماته الى كامبل ((Campel)) القنصل البريطاني في مصر بأن ينبه محمد علي الى رد فعل حكومته، فكتب إليه في كانون الثاني عام 1837 قائلاً له **" إنني أكلفك بأن تخبر باشا مصر، بأن حكومة جلالته تلقت تقارير عن تحركات جيوشه في بلاد الشرق تؤكد أنه ينوي مد سيطرته الى مناطق أخرى جديدة، أعلم محمد علي صراحة ان مثل هذه الخطوة لا ينظر إليها بعين الرضا من قبل الحكومة البريطانية "[3] .**

كما اخبره أن الموقف يقتضي إجراء مباحثات مباشرة معه لمعرفة حقيقة نواياه[4] . وقد أكد محمد علي للقنصل البريطاني في مصر أنه لا يفكر في التوسع خارج البحر الأحمر[5]، كما إنه لا يتطلع إلى إمتلاك ميناء عدن لأن هذه الخطوة تسئ الى علاقاته مع

1- Marston, op. cit, P. 55.

2- اللورد بالمرستون (1784- 1860) سياسي ورجل دولة بريطاني إسمه الحقيقي (هنري جون تميل) إكتسب لقب بالمرستون في عام 1802 واصبح نائباً عن حزب المحافظين في عام 1807 وبقي في هذا المنصب مدة ثمان واربعين سنة تقلد فيها عدة مناصب حكومية فقد نصب وزيراً للحربية للفترة (1809- 1828) ثم اصبح وزيراً للخارجية للفترة (1830- 1841) اشرف على إقامة كيانات دولية تخدم المصالح البريطانية ، أشرف على سياسة بريطانيا المعادية لمحمد علي . واصبح رئيساً للوزراء عندما إحتاجت بريطانيا لقائد يستطيع إدارة حرب القرم في عام 1856 . وفي اواخر حكمه إحتلت قدرته على التحكم في الأمور إلا انه لم يتخلى عن رئاسة الوزارة حتى مماته في عام 1860. للتفاصيل ينظر: عبد الوهاب الكيالي، ((الموسوعة السياسة))، ج1، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، 1986، ص482.

3- نقلاً عن عبد الحميد البطريق، تأريخ اليمن الحديث 1517- 1840،القاهرة، 1969،ص84.

4- Water field, op. cit, P. 32.

5- Marston, op. cit, P. 60.

الحكومة البريطانية[1]. وعلى الرغم من تأكيدات محمد علي وإستعداده الدائم لتقديم المساعدات اللازمة لتأمين المصالح البريطانية إلا أن بريطانيا كانت ترى أن انسحاب محمد علي من كل المناطق العربية التي احتلتها هو ضروري، وذلك للإطمئنان على مركزها الحيوي في تلك المناطق، والتي تشكل بالنسبة لها أهمية كبيرة كونها تسيطر على الطرق الرئيسية لمواصلاتها مع الهند[2] .

وفي الرابع والعشرين من مايس 1838 طلب بالمرستون من كامبل إبلاغ محمد علي ان الحكومة البريطانية يسرها أن ترى القوات المصرية تغادر اليمن، حتى يتفرغ لإنشاء نظام إداري جيد في البلاد التي يحكمها، بدلاً من تكريس جهوده وثروات الممالك التي استولى عليها في حملاته التوسعية في المناطق المجاورة[3] . ومع ان محمد علي رد على ذلك بأن تحركاته العسكرية كانت بإيحاء من السلطان العثماني بالقضاء على الوهابيين ، إلا إن الحكومة البريطانية لم تنظر الى رد محمد علي بأي إعتبار، لأنها تعتقد بأن العثمانيين والمصريين لا يمتلكون الشرعية القانونية في الاستيلاء على اليمن . ويبدو أن موقف بريطانيا هذا له مغزى عميق، ينحصر في رغبتها بإخلاء الساحة اليمنية من أي وجود يؤثر على مصالحها ، وانطلاقاً من مخاطر امتداد النفوذ المصري في الجزيرة العربية على مصالحها، وما رافقه من محاولات أوربية متعددة على الساحة نفسها[4] ، لذلك قررت بريطانيا الوقوف بوجه محمد علي اذا استمر في محاولاته للسيطرة على عدن، حيث باشرت في وضع خططها الرامية لاحتلال هذا الميناء الحيوي المتحكم في اهم طريق يصلها بمستعمراتها في الهند، وهو البحر الأحمر إذ اعتبرت أن الوجود المصري في تلك المنطقة يشكل خطراً على مصالحها في الهند، وبناءً على ذلك بدأت بريطانيا بإختلاق الذرائع والحجج للسيطرة على عدن .

1- صلاح البكري، المصدر السابق، ص18 ؛ محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص178.

2- Water field, op. cit, P. 33.

3- فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية، ص121.

4- جاد طه، المصدر السابق، ص67.

المبحث الثالث : الدوافع البريطانية للسيطرة على عدن

لم يكن إختيار بريطانيا لعدن كقاعدة عسكرية وبحرية عفوياً، بل كان لعدن من الصفات والمزايا ما جعل بريطانيا تفضلها على أي منطقة أخرى، وذلك لأهمية موقعها من الناحية الاستراتيجية ، إذ كان من السهل تحويل مينائها الى قاعدة بحرية يمكن للسفن ان تأوي إليها بسهولة، كما ان هذا الميناء يمكن العمل فيه على ترميم قطع الأسطول البريطاني، بالإضافة إلى تزويده بما يلزم من الوقود والتموين .

ازدادت أهمية عدن الاستراتيجية بالنسبة للسلطات الاستعمارية البريطانية في الهند . وكانت هذه السلطات تتصل بأوربا عن طريق رأس الرجاء الصالح وطريق البحر الأحمر. والطريق الثالث هو الخليج العربي والعراق، ثم الى موانئ البحر المتوسط، ومنها الى أوربا[1] .

أما البحر الأحمر فقد كان يمثل الطريق الوسط ، لذلك سعت السلطات البريطانية في الهند للسيطرة على جميع أنحاء المحيط الهندي ، وفي سبيل تحقيق ذلك كان على بريطانيا أن تقيم قواعد بحرية قوية في أركانه المتعددة ومنها عدن التي تتحكم بالمدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، لذلك فإن سيطرة البريطانيين على عدن تمكنهم من فرض السيطرة بسهولة على مداخل الخليج العربي من ناحية، ومن مد نفوذهم الى زنجبار وشرق افريقيا من ناحية اخرى، بالإضافة الى ان عدن تشكل مركزاً هاماً للتوسع في جنوب الجزيرة العربية[2] ، واذا ما سيطرت بريطانيا على عدن فإنها بذلك تصبح سيدة البحار، وبهذا تفرض سيطرتها على أهم مضايق العالم، ومن هذا يتضح لنا أن هذا الميناء يمتلك من الأهمية ما لا يمتلكه أي ميناء آخر في الجزيرة العربية، وإن التطور التجاري والاقتصادي في هذا الميناء سوف يقضي بلا شك على بقية موانئ البحر الاحمر[3] ، فعدن تشرف وتسيطر على مدخل البحر الاحمر المؤدي الى البحر العربي فالمحيط الهندي فملتقى خطوط الملاحة بين الهند وبريطانيا ذهاباً وإياباً[4] .

1- جلال يحيى، البحر الأحمر والاستعمار، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1963، ص27.

2- محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص185.

3- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن 1839- 1967، دراسة سياسية تبحث في إرتباط المؤسسات الأنشطة العسكرية بالمتغيرات السياسية، ط2، بيروت، 1985، ص11.

4- محمد حسن، قلب اليمن، مطبعة المعارف، بغداد، 1947، ص62.

لقد شعر البريطانيون بأهمية عدن بصورة واضحة بعد أن أدركوا أن حياتهم كأمة متقدمة تعتمد أساساً على كفاءتهم البحرية، لذلك فإنهم لم يدخروا جهدهم في جعل بحريتهم أولى البحريات في العالم، ونجحوا فعلاً في أن يصبحوا أقوى دولة بحرية منذ أواخر القرن الثامن عشر، خصوصاً بعد أن تم استخدام الحديد لأول مرة في صناعة السفن البحرية، فقد كان لهذا الحدث بالإضافة الى استخدام القوة البخارية في تحريك السفن بغير الاعتماد على الرياح(1)، كان له أثراً كبيراً في مضاعفة أهمية عدن كقاعدة بحرية وتجارية، ففي أواخر القرن التاسع عشر أصبحت الملاحة البخارية ممكنة(2)، وكان رأي الكثير من رجال الاقتصاد والحرب والساسة البريطانيين أن يستخدم البخار في تسيير السفن البريطانية التي تقوم برحلاتها من الهند الى اوربا عبر البحر الأحمر، وقد أيد مونت ستيوارت الفينتسون (Mont Steuart Eliphinston) حاكم بومباي ذلك الرأي، واقترح ان يستخدم البحر الاحمر كطريق للمواصلات البريطانية بدلاً عن الطريق البحري الطويل حول رأس الرجاء الصالح(3) . وذلك لأن استخدام بريطانيا لهذا الطريق سيوفر لها الكثير من الوقت والجهد والنفقات في مواصلاتها الى الهند(4) .

ومن أجل تحقيق ذلك بدأت بريطانيا في البحث الجاد عن محطات مناسبة في تموين سفنها بالوقود . وقام بهذه المهمة مايكل باجنولد(Michael Bagnold) المقيم والوكيل السياسي في (مخا) بزيارة عدن عام (1827) بهدف دراسة امكانية استخدام مينائها كمحطة مناسبة لهذا الغرض، ووجد أن موقع عدن وطبيعتها يؤهلانها أن تصبح أصلح المحطات في سواحل البحر الاحمر(5) . لأنها تقع بين بومباي وموانئ البحر المتوسط بمسافة معقولة .

1- قام العالم الاسكتلندي ((جيمس وات James Watt)) باستخدام قوة بخار الماء كقوة دافعة في أواخر القرن الثامن عشر ، واخترع الآلة البخارية واستخدمت لمدة طويلة على البر وبعد ذلك فكر المخترعون في ان يستخدموا طاقة البخار لتشغيل الآلات السفن التي تحركها في البحر، ومع نهاية الحروب النابليونية ، كانت القوارب البخارية تبحر في الأنهار والقنوات البريطانية . للتفاصيل ينظر: فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية ، ص133-134.
2- سلطان ناجي، الخلفية التأريخية لإحتلال البريطاني لعدن، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، العدد الثاني، نيسان، 1975، ص33.
3- Water field, op. cit, P. 17.
4- Ingrams.H; The Yemen Imams, Rules and Revolution, Thoumorray Camelot press, London, 1963, P.26.
5- Hoskins, op. cit, P.125.

ولهذا أجرت بريطانيا مفاوضات مع السلطان محسن بن فضل العبدلي سلطان لحج وعدن في عام 1829 وكان الهدف منها استئجار مساحة من عدن لتقيم عليها الحكومة البريطانية مخازن الفحم لتموين سفنها البخارية، وانتهت تلك المفاوضات بموافقة السلطان بتأجير جزيرة (صيره)[1] للبريطانيين، بعدها قرر البريطانيون إرسال الباخرة هيولندسي (Hughlindsy) في رحلة تجريبية من الهند الى البحر المتوسط عن طريق عدن ومخا ثم الى جدة، وبالفعل غادرت السفينة في العشرين من آذار عام (1830) فوصلت عدن في الحادي والثلاثين من الشهر نفسه[2] . إلا انه بسبب قلة الأيدي العاملة في عدن ذلك الحين[3]، فقد قام البريطانيون بترك ميناء عدن والبحث عن منطقة أخرى أكثر ملائمة[4]، فإتجهوا نحو (المكلا) كمحطة مؤقتة لهذا الغرض[5] . وفي عام 1834 احتلوا جزيرة (سوقطرة) ، إلا ان هاتين الخطوتين لم تشبعا رغبات البريطانيين[6] . لأن المكلا أبعد نسبياً نسبياً عن الطريق البحري المباشر، ولذلك لم تكن انسب مكان لتزويد البواخر البريطانية بالوقود. وفي الوقت نفسه فقد رفض سلطان المهرة ((سوقطره)) بيع الجزيرة أو التنازل عنها، وهذا ما أكدهُ الضابط البحري البريطاني ستافورديتزورت هينز((Commandor Haines))[7] حيث يقول إن السلطان عمرو بن سعد قال له : **" اسمع يا قبطان هينز، وحق رب العرش لن أفرط مني ذرة من ارض الجزيرة لقد حباها الله للمهريين ((أهالي سوقطره)) فقط ، وسنبقى نتوارثها صغارنا عن كبارنا إلا ما شاء الله "[8] .**

1- لعبت جزيرة صيرة دوراً مهماً خلال الغزو الأوربي لأطماع العثمانيين والمماليك فهي تسيطر على منطقة واسعة من البحر الأحمر وتشرف على السفن الداخلة الى اليمن والخارجة منها الامر الذي أتاح لها ان تتحكم في مدينة عدن نفسها . للتفاصيل ينظر: محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص7.

2- سلطان ناجي، الخلفية التأريخية للاحتلال البريطاني لعدن، ص34 .

3- Marston, op.cit, P. 64.

4- Kour, op.cit, P. 8.

5- المكلا: ميناء جيد وتتوفر فيه الايدي العاملة الرخيصة، إضافة الى ان هذا الميناء أقرب الى بومباي من عدن بمسافة مائتين وخمسين ميلاً تقريباًُ .

6- د. محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص43.

7- الضابط البحري هينز (1802-1860): هو قائد البحرية الهولندية التابعة للتاج البريطاني ، ويعد اول مخطط ومنفذ لاحتلال عدن . وقد كافأته الحكومة البريطانية في الهند بتعيينه معتمداً سياسياً لها في عدن بعد الاحتلال . للتفاصيل ينظر:
فاروق عثمان أباظة ، عدن والسياسة البريطانية، ص141 ؛
Garein, op. cit, P. 162

8- حاولت حكومة الهند ان تغري سلطان المهرة بمبلغ كبير قدره عشرة آلاف ريال نمساوي ثمناً لجزيرة سوقطره، إلا ان السلطان عمرو بن سعد كان عنيداً ومتمسكاً ببلاده ولم يفرط بها . للتفاصيل ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص184؛ سلطان ناجي، الخلفية التأريخية لإحتلال البريطاني لعدن، ص34-35.

وبعد فشل البريطانيين في السيطرة على جزيرة سوقطره انصرفوا الى البحث عن أنسب مكان ليجعلوا منه مخزناً ومحطة لتموين سفنهم بالفحم وكان موقع عدن اكثر ملائمة للملاحة من غيره، فقد أستأثر اهتمامهم، فبدؤا يفكرون باحتلال عدن بشكل جدي، خصوصاً بعد دخول المصريين الى اليمن وتخطيطهم للاستيلاء على عدن بقيادة محمد علي[1]، الذي ساعدته حالة اليمن الداخلية آنذاك التي كانت متمثلة بتدهور الحكم في بلاد اليمن وقيام ثورة في إقليم تعز ضد حاكم صنعاء الإمام علي بن عبد الله المنصور[2] . إذ كان هدف المصريين في السيطرة على جميع الموانئ الهامة في البحر الأحمر، وقد تكللت الجهود المصرية في شهر آب 1837 في إتمام السيطرة على تعز . وفي الخامس والعشرين من الشهر نفسه دخلت إحدى الكتائب المصرية بقيادة إبراهيم باشا مدينة عدن[3]. الأمر الذي أدى الى تصميم البريطانيين على احتلال عدن. وكان مما زاد مخاوف مخاوف بريطانيا من نوايا محمد علي التقرير الذي رفعه الى وزارة الخارجية البريطانية النقيب جيمس ماكنزي ((James Mackenzie)) من جيش الهند الذي سافر الى الجزيرة العربية ثم الى مصر في بداية عام 1837، حيث أكد في التقرير الذي قدمه الى وزارة الخارجية ضرورة استيلاء بريطانيا على عدن بأسرع وقت، وان الموضوع لا يحتمل التأخير، ليس لإحباط خطط محمد علي فحسب، بل لتثبيت وجود بريطانيا في عدن ايضاً[4].

وفي العام نفسه كانت لجنة أخرى في مجلس العموم البريطاني تجمع الادلة حول إنشاء مواصلات تستخدم فيها السفن التجارية مع الهند، فقد بحث العقيد كامبل ((Campell)) القنصل العام البريطاني في مصر الى وزارة الخارجية البريطانية في تشرين الثاني (1837) كتاباً شجع فيه فكرة الاستحواذ على عدن[5] ، حيث قال فيه: **" إن السيطرة على على عدن سوف لن تقتصر على منع أية محاولة يقوم بها محمد علي او غيره لمد نفوذه**

1- Play fair, op. cit, P. 92.

2- في عام 1835 توفي المهدي عبد الله وخلفه ابنه علي الملقب بالمنصور وفي ايامه ازداد التدهور في البلاد وتفشت الرشوة والاختلاسات وأعمال التخريب وتضعضعت المملكة في عهده وانقطعت موارد البلاد وكان الجنود يهجعون اليه ويتسلطون في المطالب ولم يكن له عليهم أي سلطات . وفي العام الثاني لحكمه ثار عليه الجنود وقبضوا عليه ونصبوا مقامه الامام الناصر عبد الله بن الحسين بن المهدي واودع المنصور في اليمن وفي ايام الناصر استولى البريطانيون على عدن . للتفاصيل عن تدهور الحكم ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص142-143.

3- محمد رجب جراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840-1909، القاهرة، 1970، ص82.

4- اريك ماكرو، اليمن والغرب، ترجمة وتعليق د. عبد الله حسين العمري، ط2، دمشق، 1987، ص69-70.

5- Water Field, op. cit, P. 29.

وراء البحر الاحمر ، ولكنها ايضاً ستكون موقعاً يستفاد منه لإقامة مخزن للفحم لغرض تسيير سفنها بين بومباي والبحر المتوسط ، كما ان هناك احتمالاً كبيراً في ان تجارة البن في ميناء مخا ستتحول كلياً الى ذلك الميناء وبهذا تصبح لبريطانيا السيطرة الكاملة على هذه التجارة الهامة، ويمكنها من تحطيم المنافسة الامريكية بعد ان اصبح الأمريكيون يحصلون على جزء كبير من هذه التجارة، وكادوا يحتكرونها "(1).

وفي عام 1838 أرسل كامبل تقريراً ثانياً اشار فيه الى زيادة الحركة التجارية في البحر الأحمر واحتمال إضطرار الحكومة البريطانية للسيطرة على عدن، نتيجة لسياسة محمد علي الهادفة الى إجتذاب التجارة الشرقية الى مصر، ووضح في التقرير نفسه أهمية عدن بالنسبة لبريطانيا بقوله: **" إن موقع عدن حصين ولا يحتاج للدفاع عنه إلا حامية صغيرة جداً وإن الاستيلاء عليها من شأنه ان يضع حداً نهائياً لما يجول في ذهن محمد علي من مشروعات الفتح والتوسع في هذه الجهات "(2) .**

دفعت تلك التقارير البريطانيين الى التفكير بجدية في الاستيلاء على عدن ، وأكدت لهم ان استيلاءهم عليها سيعرقل مشاريع محمد علي التوسعية . وكانت هناك اسباب اخرى اعمق واشمل دفعت بريطانيا للإقدام على إحتلال عدن، ومنها ما ذكره روبرت كرانت ((Robert Grant)) حاكم بومباي في خطابه المؤرخ في السابع والعشرين من شهر شباط 1838 الموجه الى مجلس إدارة شركة الهند الشرقية البريطانية حول تلك الأسباب، وقد جاء في ذلك الخطاب : **" أن أهمية عدن بالنسبة لنا لا تقدر بثمن، فهي تصلح مخزناً للفحم ومحطة لتموين السفن التجارية طيلة فصول السنة، ويمكن أن تكون مركز إلتقاء ومرفأ لرسو السفن، التي تعبر عن طريق البحر الاحمر ، فضلاً عن انها قاعدة عسكرية قوية، بحيث يمكن السيطرة عليها ان تحمي وتستفيد من تجارة البحر الاحمر والخليج العربي والساحل المصري المواجه والغني بمنتجاته وإذا ما اصبحت عدن في أيدينا، فإنها ستكون بجبل طارق صعبة المنال من البر والبحر .. إنني أنظر الى الموضوع بعمق وشمول اكثر فهناك أمتان كبيرتان تتآمران علينا وتودان القضاء على نفوذنا في الشرق، أولها روسيا وهي تتجه نحونا من خلال ايران، والثانية فرنسا وهي آتية من خلال مصر،**

1- لقد وجدت شركة الهند الشرقية البريطانية، ان التجار الامريكان كانوا منافسين خطرين لهم على الرغم من المسافة البعيدة التي يقطعونها ، فخلال مدة ثمانية عشر شهراً بين عامي (1832-1834) وصلت الى زنجبار اثنتان وثلاثون سفينة امريكية مقارنة مع سفن بريطانية، وقد ذهبت العديد من السفن الى مخا، حيث ان القهوة (البن) كانت هي المادة الاساسية التي يريدونها . للتفاصيل ينظر: Water field, op. cit, P. 39 .

2- نقلاً عن وليد محمد جرادات، الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة ، الدوحة، 1986، ص148.

وحتى نتصدى لهذه التهديدات يتحتم علينا ان نقيم مراكز دفاعية متقدمة فيما وراء نطاق حدودنا "[1] . لقد زاد هذا الوصف الذي ذكره حاكم بومباي عن اهمية عدن بوصفها مركزاً دفاعياً لبريطانيا بوجه الدول الأوربية من تصميم بريطانيا على إحتلال هذه المنطقة الحيوية من العالم[2] .

يتضح لنا من خلال ما تقدم ان بريطانيا لكي تستطيع ان تحقق أهدافها الاقتصادية والاستراتيجية كان لزاماً عليها ان تفرض سيطرتها على عدن، بعد ان أكدت تقارير خبرائها من رجال البحرية البريطانية، وتقارير قناصلها في بلاد الشرق على أهميتها، بالإضافة الى الرغبة الملحة لدى حكومة الهند البريطانية في ضرورة السيطرة على ذلك الميناء الحيوي الهام، ويمكننا تلخيص دوافع بريطانيا لاحتلال عدن بما يأتي :

1- إن موقع عدن الاستراتيجي بالنسبة لبريطانيا ذو شأن خاص، ذلك لأنها سوق للمبادلة التجارية ومحطة لتزويد السفن البريطانية بالوقود[3] .
2- إتخاذ عدن كمركز لإيقاف نشاط محمد علي وتصفية نفوذه في الجزيرة العربية، ولكي لا يهدد طريقي المواصلات البريطانية الى الهند عبر الخليج العربي والبحر الأحمر، وإن صلاحية عدن كقاعدة تكون نقطة إنطلاق للسيطرة على بقية الاجزاء الاخرى في الجزيرة العربية .
3- إتخاذ عدن كقاعدة دفاعية فيما وراء نطاق حدودها لمواجهة المنافسة الضاربة في المنطقة من قبل الدول الاوربية[4] .
4- الاستحواذ على التجارة اليمنية بوجه عام، واحتكار تجارة البن اليمني بشكل خاص، وتحطيم المنافسة الامريكية بعد ان بدت خطورتها الواضحة في تلك المدة[5].

وبعد أن بينا دوافع بريطانيا المختلفة للسيطرة على عدن، أصبح واضحاً أن مسألة احتلال عدن لم تأت صدفة أو بسبب حادث معين، وإنما جاء نتيجة دراسات عديدة ومؤثرات كبيرة، جعلت بريطانيا تقدم على احتلال عدن . إن إقدام بريطانيا على احتلال عدن هو ضمن ستراتيجية السياسة البريطانية، وليس هو وليد ساعته .

1- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص12.
2- محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص193.
3- عزة النص، الوطن العربي والاتجاه السياسي والملامح الاقتصادية، دار اليقظة العربية، دمشق، 1959، ص94.
4- Marston, op. cit, P. 58.
5- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص12.

وكانت بريطانيا تنتظر الفرصة المناسبة للسيطرة على عدن، فلم يكن التسرع هو طابع السياسة البريطانية، فهي تعطي الوقت الكافي لدراسة الموقف من جميع جوانبه دراسة شاملة بعيدة عن الارتجال والتخبط[1] . وعلى ضوء هذه السياسة بدأت بريطانيا بإختلاق الذرائع والحجج الواهية لاقتطاع عدن من أصحابها الأصليين، من خلال استخدامها الأساليب الاستعمارية الخبيثة، التي تمثلت بأسلوب الضغط السياسي ، بالإضافة الى الضغط العسكري، الذي تمثل بإرهاب السكان من خلال استخدام السفن الحربية ، كما استعملت الأسلحة الحديثة لتحقيق أهدافها في احتلال عدن بالقوة .

1- محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص195.

الفصل الثاني

المقاومة العربية في عدن لسياسة الاحتلال البريطاني والموقف الدولي منه

المبحث الأول : **أساليب الضغط السياسي لبريطانيا في احتلال عدن**

المبحث الثاني: **مقاومة أهالي عدن للاحتلال العسكري البريطاني عام 1839**

المبحث الثالث : **المقاومة العربية والمشكلات التي واجهتها بريطانيا في عدن بعد الاحتلال**

المبحث الرابع : **الموقف الإقليمي والدولي من الاحتلال**

المبحث الأول : أساليب الضغط السياسي لبريطانيا في احتلال عدن

بدأت بريطانيا خطتها الاستعمارية لاحتلال عدن باختلاق الذرائع والحجج، لتصنع لنفسها سبباً يسوغ لها إنتزاع ملكيتها من أصحابها الشرعيين[1] . وكانت بين بريطانيا والدولة العثمانية في ذلك الوقت صداقة تقليدية كان من شأنها ان تحول دون سيطرة بريطانيا على عدن، وضمها بسبب السياسة التوسعية التي مارسها محمد علي في الجزيرة العربية، لذلك فضلت الصمت دون اتخاذ موقف في الهند[2] . لذلك أخذت الحكومة البريطانية تبحث عن حجة تتذرع بها أو سبب تسوغ به تدخلها في عدن دون ان تظهر أمام العالم منتهكة لوعودها بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية وسلامتها[3] .

وقد ساقت لهم الأقدار حادثة استغلوها ابرع استغلال، وأعطتهم فرصة كبيرة للحصول على عدن وبظروف مواتية، وكانت تلك الحادثة هي جنوح السفينة الهندية ((دوريا دولت Duria Dowlat)) على بعد ستة اميال شرقي عدن[4] . وكانت تفاصيل تلك الحادثة أنه في اليوم العاشر من كانون الاول 1836 أبحرت السفينة الهندية (دوريا دولت) من ميناء كلكتا الهندي الى ميناء جدة، وكان يرفع عليها العلم البريطاني وكانت تحمل شحنة من البضائع الثمينة[5] وعدداً كبيراً من الحجاج المتوجهين الى الاراضي الحجازية لتأدية فريضة الحج[6] . وفي طريقها شحنت ببضائع اخرى، كما اضيف الى ركابها عدد من

1- Hoskins, op. cit, P. 197.

2- لأن الدولة العثمانية كانت تواجه مشاكل داخل اليمن ولم تبقى على أي وجود عسكري عليها منذ عام 1635 بالاضافة الى ضعف الدول العثمانية وعدم قدرتها في مد سيطرتها على جميع املاكها وعدن بضمنها ، وفي نفس الوقت حاول محمد علي استغلال ضعف الدولة العثمانية لاسيما بعد تكليفه بالقضاء على الدول السعودية الأولى (1744-1818) وكذلك حملة خورشيد باشا على الإحساء عام 1837 التي شعرت فيها بريطانيا ان هذه الحملة تهدد مصالحها في الخليج العربي وكذلك في العراق لذلك كله حاولت بريطانيا إقناع حكومة الباب العالي بضرورة إيقاف التوسع المصري (محمد علي) في الجزيرة العربية . للتفاصيل ينظر: عطية ماهر محمد صالح العبيدي، الاوضاع السياسية الداخلية في الاحساء 1837-1913، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية التربية، جامعة تكريت، 2004، ص36-47؛ عبدالعزيز سليمان نوار، تأريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، 1968، ص209.

3- محمد رفعت، سباق بين مصر وبريطانيا على عدن في عام 1838، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد الاول ، آذار ، 1969، ص212.

4- Play fair, op. cit, P. 161.

5- كانت حمولة السفينة (دوريا دولت) تبلغ 225طن او تمتلكها سيدة هندية من مدينة مدراس هي السيدة (ألبيجوم) احمد الملقبة بـ أم النساء، كما ان ناخوذ السفينة (قائد السفينة) هو مواطن هندي يدعى : سيد نور الدين، وقد شحنت هذه السفينة بمعرفة التاجر العربي فريد إنسوف، للتفاصيل ينظر: فاروق عثمان اباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص156.

6- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص185.

المسافرين، وكان من بينهم بعض السيدات، ثم تقدمت السفينة وتوقفت عند ميناء (قشن) اليمني[1] . حيث شحنت ببضائع أخرى، ثم أبحرت الى جدة في السابع عشر من شباط 1837، ونتيجة لاقتراب السفينة من الشاطئ عند عدن اكثر من المسافة المحددة لها، ارتطمت بصخور السواحل في الساعة الثالثة من صباح اليوم الثامن عشر من شباط 1837، ولم يتمكن أفراد طاقمها من إنقاذها، إذ هرب ضابط السفينة وكل البحارة في سفينة الإنقاذ، إلا إنهم غرقوا جميعاً فيما بعد[2] . وقد تعرضت السفينة ومن نجا من طاقمها الى هجوم وسطو من أهالي المنطقة، لغرض الاستيلاء على شحنتها، أنها كانت محملة بالبضائع النفيسة[3]، ويبدو ان مثل هذه الأعمال كانت تقاليد متبعة بالنسبة للقبائل الساكنة الى جوار الساحل لكسب الغنائم والمؤن، التي غالباً ما تكون غالية الثمن، وفي غضون تلك المدة المتمثلة بالفوضى التي حصلت بعد ارتطام السفينة بالساحل، جاء السيد العيدروس وهو من كبار رجالات عدن، وقام بتقديم المساعدات الى الناجين من المسافرين، حيث قدم لهم الملابس والطعام، وبعد ذلك قام بإيصالهم الى عدن[4] .

أما بالنسبة الى شحنة السفينة وبضائعها فقد سرقت ولم يبق منها شئ يذكر[5] . وقد حصل هينز على معلومات عن السفينة في نيسان 1837 وكانت تلك المعلومات تفيد ان البضائع التي اخذت من السفينة بيعت في أسواق عدن بأقل من ثلث قيمتها، وقد أشرف على بيعها احد وكلاء السلطات محسن بن فضل العبدلي سلطان لحج وعدن[6] . وبناءاً على ذلك سارعت حكومة بومباي بإختيار الضابط البحري هينز للقيام بهذه المهمة، نظراً لما يحمله من قدرات شخصية فائقة، ومن ثم أصدرت حكومة بومباي تعليماتها الى الكابتن هينز بأن يعد نفسه للتقدم الى عدن بالسفينة البخارية (بيرنيس Bernice) وان يقدم للسلطان محسن طلباً رسمياً لتقديم الاعتذار الى الحكومة البريطانية عما حدث للسفينة (دور يادولت)، وأن يعيد شحنتها من البضائع، أو ما يعادل قيمتها[7] . كما نصت

1- Water field, op. cit, P. 20.

2- محمد كمال، الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية، ط4، القاهرة، د. ت، ص11؛ جاد طه، المصدر السابق، ص74.

3- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص156.

4- احمد فضل بن علي محسن العبدلي، هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن، ط2، بيروت، 1980، ص143.

5- اشارت رواية اخرى الى ان شحنة السفينة وبضائعها قد قسمت الى ثلاثة اقسام، اخذ سلطات عدن قسمين، واستولى رئيس الشحن في السفينة على القسم الثالث كما استولى السلطان طبقاً لتلك الرواية على مؤن السفينة وبقية الأشياء التي بها . للتفاصيل ينظر: جاد طه، المصدر السابق، ص75.

6- عبد الحميد البطريق، من تأريخ اليمن الحديث (1517-1840)، القاهرة، 1969، ص88.

7- Hoskins, op. cit, P. 200.

التعليمات على وجوب استخدام كافة الطرق المؤدية عند تقديم هذا المطلب الى السلطان[1] . ولهذا فقد قام هينز بإخبار السلطان محسن بضرورة المحافظة على تلك البضائع حتى يتم الاتفاق بشأنها مع السلطات البريطانية في الهند، التي قد تطلب منه تقريراً مفصلاً عما حدث للسفينة الهندية الجانحة في عدن، وما حصل لركابها، ولم يقبل هينز الدعوة التي وجهت اليه من قبل السلطان محسن لزيارته، لمعرفة تفاصيل ما حدث للسفينة، حيث حاول السلطان إقناع هينز بأن ركاب السفينة لم تسأ معاملتهم، ولم تنهب ممتلكاتهم ، إلا ان هينز قد اصر على ضرورة إعادة تلك البضائع الى أصحابها، او تدفع تعويضات عنها من السلطان [2] .

لقد اختلفت الآراء حول أسباب غرق السفينة (دوريا دولت) ، فقد ذكر البعض ان البريطانيين عمدوا الى تدبير جنوح السفينة بالقرب من عدن، وفي منطقة تسكنها قبيلة العبدلي، وكانت النتيجة ان اعتدى أفراد تلك القبيلة على السفينة الجانحة وسرقوا بضائعها[3] .

وهناك رأي آخر حول سبب غرق السفينة، وهو ما أكده هينز بأن هناك مؤامرة بين المسؤول عن السفينة ورئيس الشحن فيها، وهما المسؤولان عن غرق السفينة عمداً، لأنهم قاموا بشحن السفينة بحمولة تزيد عن طاقتها[4] . إلا انه من غير المعقول ان يقوم مالك الشحنة وقبطان السفينة بتدبير أمر إغراق السفينة وهي مصدر رزقهما . ويبدو ان اكثر الآراء قبولاً، هو رأي الدكتور جاد طه والمستند الى الوثائق البريطانية، حيث اكد ان حادثة غرق السفينة (دوريا دولت) قد حدثت إما لإهمال بحارتها وسوء شحنهم للبضائع، او بفعل الاحوال الجوية التي أدت الى اصطدام السفينة بصخور الساحل القريب من عدن، ومثل هذه الحادثة غير مستغربة، بل ان كثيراً ما تحدث مثيلاتها في تلك المياه عند الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، وقد أيد هذا الرأي الدكتور فاروق عثمان أباظه وهو يستند الى الوثائق البريطانية ايضاً فيما يقوله، وهذا الرأي حول غرق السفينة هو الأقرب الى الواقع، أي ان غرق السفينة قد تم دون تدبير او افتعال[5] . إلا ان بريطانيا إستغلت فرصة وقوع

1- Marston, op. cit, P. 58.

2- أريك ماكرو، المصدر السابق، ص71.

3- قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص28؛ حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص186.

4- نقلاً عن محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص198.

5- جاد طه، ص77-78؛ فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية ، ص158.

هذه الحادثة، واعتبرتها نقطة البداية في تنفيذ مخططها لاحتلال عدن، بعد ان أدركت أهميتها الاقتصادية والعسكرية بالنسبة للمصالح البريطانية[1] .

لذلك قامت الحكومة البريطانية بمطالبة السلطان محسن بن فضل، بإرجاع البضائع التي نهبها أهالي لحج وعدن، وكذلك تقديم نوع من التعويض عما لحق بالسفينة من دمار وما حدث للمسافرين الموجودين على متنها . وقد رأى البريطانيون ان ذلك لا يتم إلا بالضغط على السلطان، وقد بدا ذلك واضحاً في مذكرة روبرت جرانت حاكم بومباي المؤرخة في الرابع عشر من آب 1837 التي جاء فيها : **" إن الاعتداء الشائن الذي ارتكبته سلطات عدن ضد الاشخاص والممتلكات التي تحمل العلم البريطاني وتتمتع بالحماية البريطانية، يحتاج الى إهتمام سريع واجراءات حاسمة "[2]** . وحتى ذلك الحين كانت المسألة تتوقف عند طلب يتضمن إرجاع البضائع وتقديم التعويض من السلطان عما لحق بالسفينة والمسافرين على متنها ، إلا انه بمذكرة روبرت جرانت حاكم بومباي التي بعث بها الى الحاكم العام في الهند في الثالث والعشرين من ايلول 1837[3] ، بدأت ملامح الربط بين المطالبة بالتعويض والاستيلاء على عدن، فقد جاء في تلك المذكرة : **((إن إقامة إتصال بحري تجاري في البحر الاحمر كل شهر، وتكوين أسطول صغير من السفن التجارية المسلحة، يجعل من الضروري الحصول على محطة لنا على الساحل العربي، كما هو الحال على ساحل الخليج العربي، وان الإهانة التي وجهت الى العلم البريطاني في عدن جعلتني أقرر دون ريب او تردد ، انه يجب ان نضع ايدينا على ميناء عدن))[4].** واستطرد حاكم بومباي في مذكرته موضحاً مزايا عدن من نواح متعددة، والفوائد الكثيرة التي ستجنيها بريطانيا فيما لو استحوذت عليها حيث يقول : **" إنه يمكن لميناء عدن اذا إنتضمت إدارته ان يصبح ميناءاً هاماً لتصدير حاصلات بلاد العرب من بن وصمغ وتوابل، كما يمكن من خلال هذا الميناء التحكم في الطريق البحري التجاري الذي تعبر من خلاله المنتجات البريطانية والهندية ، فضلاً عن كونه مركزاً للتبادل التجاري بين المناطق الغنية في اليمن وحضرموت ، كما يعد ميناء عدن سوقاً رائجة تتجمع فيها البضائع الواردة على الساحل الشرقي لأفريقيا، أما من ناحية صلاحيتها لتكون مخزناً للفحم، فإنه لا يوجد على طول الساحل الجنوبي للجزيرة العربية مركزاً اكثر ملائمة منها لتحقيق هذا الغرض، وذلك نظراً لوقوعها في منتصف المسافة بين**

1- شوقي عطا الله الجمل، سياسة مصر في البحر الاحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، ص28.

2- جاد طه، المصدر السابق، ص79 .

3- Marston, op. cit, P. 56.

4- فاروق عثمان اباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص160 .

بومباي والبحر المتوسط ، ويمكن للبواخر ان تدخل الميناء حتى أثناء الليل وان تفرغ شحنتها في أمان تام، ثم تزود بحاجتها من الفحم والماء "[1] .

وأكد حاكم بومباي في تقريره للحكومة البريطانية على ضرورة الإسراع بتنفيذ مشروعها لإحتلال عدن، حيث انه كان متأثراً بالتوسع المصري في اليمن واقتراب المصريين من عدن، إلا ان الحاكم العام للهند آنذاك كان مهتماً بصدد مطامع روسيا القيصرية واتخاذ الحيطة ضد المطامع الروسية . فكان رده الى حاكم بومباي بأنه لا يصح له ان يتخذ من مجرد الإهانة التي وجهت الى ركاب السفينة (دوريا دولت) من قبل أهالي عدن مبرراً للاستحواذ عليها[2]. ونبهه بخطورة الإقدام على مثل هذا العمل الذي سيؤدي الى حدوث مشاكل مع المصريين ومع القوى الأوربية الأخرى المتنافسة في المنطقة مثل فرنسا وروسيا والنمسا، لذلك قدم الحاكم العام نصيحة الى حاكم بومباي بضرورة مطالبة السلطان محسن بن فضل العبدلي بتقديم الترضية لبريطانيا عما حدث للسفينة، كما نصح الحاكم العام ببذل أقصى الجهود للإتفاق مع السلطان على إتخاذ ميناء عدن مخزناً للفحم ومحطة للسفن البريطانية، التي كانت تستخدم طريق البحر الاحمر في تلك المدة[3] . كما طرح عليه فكرة شراء ميناء عدن من السلطان[4]. وكنتيجة واضحة لذلك فقد اصبح الخيار العسكري لإحتلال عدن أمراً غير وارد في تلك المرحلة، ويبدو ان بريطانيا أرادت ان تمهد الطريق لإحتلال عدن بإجراء مفاوضات مع السلطان محسن، بالإضافة الى الشروط التعجيزية التي فرضتها عليه[5] . في الثامن والعشرين من كانون الأول 1837 وصل هينز وهو احد ضباط البحرية البريطانية الى عدن، الذي أرسله حاكم بومباي للتفاوض مع السلطان محسن بن فضل العبدلي، وفي الرابع من كانون الثاني 1837 بدأت المناقشات بينه وبين السلطان محسن، وقد أنكر السلطان محسن في تلك المفاوضات أية معرفة له بحادثة نهب السفينة (دوريا دولت)[6] .

1- Hoskins, op. cit, P. 197.

2- Marston, op. cit, P. 57.

3- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص161.

4- Hiskins, op. cit, P. 200.

5- محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص201.

6- لم يكن إرسال الحكومة البريطانية لهينز إرتجالياً، بل ان هينز قام بعملية مسح شامل للساحل الجنوبي للجزيرة العربية، في عام 1835، وقد اختبر جميع النقط على هذا الساحل كما انه قاس اعماق البحر في كافة اجزائه، ورسم الخرائط وعليها اسماء عربية وانكليزية لكل جزء مما يعني ان لدى هينز إلماماً تاماً بالأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة للتفاصيل ينظر : جاد طه، المصدر السابق، ص73؛ Gavin, op. cit, P. 162

وقد بين لهينز انه عندما تتحطم السفينة في أي ميناء هندي او عربي فان الحالة الغالبة في مثل هذه المواقف ان السفينة تفقد حمولتها وركابها، ولا يكون حاكم المنطقة مسؤولاً عن رد هذه المفقودات، كما أكد السلطان أنه في اليوم الذي سمع فيه بتحطم السفينة أرسل ابنه الى مكان الحادث للعمل على إنقاذ السفينة وحماية من عليها[1] . فضلاً عن إرساله قارباً آخراً لحمل الركاب الى البر[2] . إلا ان هينز لم يقتنع بما قاله السلطان محسن، وطلب منه على الفور دفع كافة التعويضات عن الإضرار التي لحقت بالسفينة (دوريا دولت)، والتي قدرت بإثني عشر الف ريال، على ان تدفع هذه الأموال دون قيد أو شرط، وأكد هينز إصرار حكومته على أخذ هذا المبلغ بأي وسيلة سلمية كانت أو قهرية[3] .

ويبدو ان هينز جاء وهو عاقد العزم على تأزيم الموضوع، وإلا فما هو تفسير هذه اللهجة الشديدة، وهو في بداية مفاوضاته مع السلطان كان بإستطاعته ان يتعامل مع السلطان بأسلوب ودي من دون اللجوء الى هذا التشدد في موقفه، لذلك لم يجد السلطان محسن مفراً من الموافقة على مطلب الحكومة البريطانية، فقد أعاد السلطان محسن ما قيمته (7,809) ريالاً، عن شحنة السفينة التي عثر عليها بالإضافة الى انه سلم لهينز تعهداً بدفع ما تبقى من المبلغ وقدره (4191) ريالاً خلال سنة واحدة[4] . وقد إستخدم هينز أساليباً أخرى لإستمالة السلطان محسن ليتنازل لبريطانيا عن ميناء عدن، فقد أبلغ هينز سلطان عدن بأن حكومته فوضته للاتفاق مع السلطان حول **((شراء عدن والمناطق المحيطة بها))**[5] مقابل دخل سنوي مقداره ثمانية آلاف وسبعمائة ريال، تقدمها حكومة الهند الى السلطان[6]، بالإضافة الى هذا الإجراء الذي أراد به هينز إغراء السلطان بالمال للحصول على عدن، وحاول هينز ان يقلل من أهمية عدن أمام السلطان، حيث بين له ان ميناء عدن اصبح ليس له قيمة ولا نفع، بل ان أهميته ستتضاءل عاماً بعد عام، وقد تصبح عدن في وقت قصير جداً مطمعاً لبعض القوى الخارجية وحينها تصبح عدن خطراً على املاك السلطان العبدلي وقد تضيع منه في النهاية ودون مقابل[7] . وكان قصده بقوله خطراً خارجياً يعني به الخطر المصري . إن المنطق الاستعماري كان واضحاً تماماً في

1- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية،ص187؛ جاد طه، المصدر السابق، ص81.
2- جاد طه، المصدر السابق، ص81.
3- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ الجزر اليمنية، مطبعة يوسف وقيلب الجميل، بيروت، 1972، ص178.
4- نقلاً عن محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص203.
5- Hunter, op. cit, P. 164.
6- حسين عبد الله العمري، مئة عام من تأريخ اليمن الحديث (1748-1848)، ط1، المطبعة العلمية، دمشق، 1984، ص272.
7- محمد رفعت، المصدر السابق، ص213.

كلام هينز مع السلطان محسن، فهو يقول من ناحية إن عدن ليست ذات قيمة للسلطان، ومن ناحية اخرى يوضح للسلطان ان بيعها سيدر عليه بالنفع المادي الكبير[1] .

وعلى أية حال فإن هينز عرض على السلطان محسن الدخول في معاهدة لنقل ملكية أراضي عدن الى بريطانيا وقدم له مسودة لمعاهدة مكتوبة باللغة العربية لدراستها وعرض هينز دفع أية مبالغ يطلبها السلطان بإسم شركة الهند الشرقية البريطانية ثمناً لتلك الأراضي، وانه في حالة امتلاك بريطانيا لعدن فإن السلطان سوف يعامل بإحترام ويكون له مطلق الحرية بالإقامة في عدن ويحتفظ بملكيته الخاصة في عدن ، بالإضافة الى إحتفاضه بمنزلته كسلطان فيها[2] .

ويمكننا معرفة وجهة نظر السلطان محسن من مطالب هينز من خلال الخطاب الذي وجهه الى السير روبرت جرانت حاكم بومباي في الخامس عشر من كانون الثاني 1837 الذي استفسر فيه عن مقصد الحكومة البريطانية بالنسبة لعدن وعن كيفية تحويلها الى بريطانيا حيث قال : **" ويجب ان يكون معلوماً لدى فخامتك ان هناك مثلاً عربياً يقول: دع الجسد يحترق ولكن لا تدع الوطن يطعن في داخله، وإنه من الافضل بيع شخص لآخر من تنفيذ ذلك، وتحقيق هذا الامر سوف يسلبنا مواردنا ويفقدنا كرامتنا ، وإذا كنتم فخامتكم تريدون تحقيق بعض الامور في عدن ولمدة تطول تحت علمنا ، ويمكنك الدخول في إتفاق لترتيب ذلك، ونحن لن نتعرض لك بسوء ولا انت تتعرض لنا بسوء وعلى كل منا ان نعتمد على موارده ويحافظ على سمعته "[3]** . ومهما يكن من أمر هذا الخطاب، يتضح لنا ان السلطان قد رفض مطلب هينز في الحصول على موافقة بيع عدن للبريطانيين .

لقد كان هينز يرغب في الحصول على إجابة سريعة من السلطان محسن، بالنسبة لموضوع نقل ملكية عدن لبريطانيا، فقد أفصح عن رغبته في ذلك عند مقابلته لممثل السلطان المدعو (رشيد بن عبد الله)، الذي عينه السلطان ممثلاً شخصياً عنه في شؤون المفاوضات التي تجري بينه وبين هينز[4] . إلا ان السلطان محسن قد طلب من هينز تأجيل البت في موضوع نقل ملكية عدن لحين رجوعه الى شيوخ القبائل التابعة له بحجة انه يخشى معارضتهم في موضوع بيع عدن، ويرغب عرض موضوع بيع عدن على

1- جاد طه، المصدر السابق، ص86.
2- المصدر نفسه، ص86.
3- المصدر نفسه، ص87.
4- المصدر نفسه، ص87.

شيوخ العشائر، ويريد سماع رأيهم في هذا الشأن، وقد كان هينز يعلم علم اليقين ان السلطان محسن يراوغ ويماطل في هذا الموضوع بأخذه لرأي الشيوخ، فقد قال هينز : **" إنني عرفت من مصدر موثوق به ان ما قاله السلطان بخصوص عقد مجلس للشيوخ كان إدعاءاً كاذباً "[1]** .

وقام هينز بإخبار ممثل السلطان انه يريد مناقشة السلطان في نقطة واحدة وهي توقيع السلطان على نقل ملكية عدن لبريطانيا، وكذلك ان يحدد السلطان المبلغ او الثمن الذي يريده مقابل ذلك، إلا ان السلطان أشار بأن الإجابة النهائية بالنسبة لمسألة نقل ملكية عدن ستكون في حدود شهرين، وفي غضون ذلك فإنه بإمكان هينز ان يذهب الى بومباي ويخبر حكومته بتفاصيل اتصالاته مع السلطان ، كما أوضح السلطان **" أنه غير مسؤول إذا ما هاجم سكان عدن هينز ورجاله عند مجيئهم الى عدن "[2]** .

ويبدو أن السلطان محسن كان يماطل بشتى الطرق ليعيق عملية نقل ملكية عدن الى البريطانيين، فهو لا يريد تنفيذ ذلك، لأنه كان يأمل ان تأتيه النجدة آخر الأمر من المصريين، فتزحف القوات المصرية لإنقاذ عدن من أيدي البريطانيين، وربما كان يريد الحصول على المزيد من الأسلحة اللازمة لمواجهة تلك الأخطار الخارجية[3] .

وعلى الرغم مما تؤكده الوثائق البريطانية من ان السلطان محسن قد وافق على بيع عدن للبريطانيين، إلا ان هذا غير صحيح، وذلك لأنه بعد إشاعة الخبر الذي روج له البريطانيون ، ظهرت معارضة قوية على مشروع بيع عدن، وكان على رأس المعارضين لهذا المشروع الأمير احمد بن السلطان محسن بن فضل العبدلي، بالإضافة إلى بقية الأهالي وإن الأمر نفسه قد سبب ردود فعل قوية ورفض البيع من قبل زعماء العبدلي[4] . ولم يكتف هؤلاء بالمعارضة الكلامية، بل إنهم حاولوا القبض على هينز وقتله بعد ان يحصلوا منه على رسائل السلطان والتعهد الذي دفعه بشأن التعويضات[5]، ولكن هينز نجا من الكمين الذي أعد له[6] .

1- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص187.
2- جاد طه، المصدر السابق، ص88؛ فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص168.
3- محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص206.
4- Hoskins, op. cit, P. 200.
5- Ibid, P. 203.
6- عندما تأهب هينز للنزول من السفينة ((كوت Coote)) لمقابلة السلطان محسن في اليوم السابع والعشرين من كانون الثاني 1838، فوجئ هينز بأن وجد من يحاول إلقاء القبض عليه مما إضطره الى العودة مسرعاً الى ظهر السفينة ، فإتفق الامير احمد الذي كان=

إن السبب في فشل ذلك الكمين الذي أعدهُ الأمير احمد ورفاقه لأسر هينز هو إحاطته بالموضوع من قبل رشيد بن عبد الله ممثل السلطان ، فقد أبلغ هينز بهذا الموضوع عن طريق المترجم الذي كان يترجم بينه وبين هينز برسالة أطلعه فيها على خطورة الموقف حيث قال لهينز : **" خذوا حذركم ، وامنع السادة البريطانيين من مقابلة الأمير احمد وصهره السيد حسين اللذين أقسما على القرآن على أسر هينز واخذ كافة الأوراق منه بالقوة "[1] .**

وفي الوقت نفسه أرسل احمد إبن السلطان محسن رسالة شديدة اللهجة الى هينز اوضح له فيها حقيقة موقفه بقوله : **" إذا كنت تريد ان تمتلك عدن فإن اهالي عدن لا يريدونكم ولن يبارح أهالي عدن منازلهم حتى الموت وصدقني إن هذه هي الحقيقة "[2] .**

ويذكر العبدلي ان الأمير احمد ذكر في رسالته تهديداً قوياً لهينز: **((وإنه سيقطع رأسه إن هو تمادى وجاء الى باب عدن لمقابلة السلطان))[3] .** يتضح لنا من خلال ما تقدم ان موقف الأمير احمد الصلب من الأطماع البريطانية في بلاده كما ثبت لهينز حقيقة موقف الأمير احمد بن محسن، وتأكد من موقفه وسعيه الاحتفاظ بعدن وعدم التفريط بها .

كما يتضح من الرسالة التي بعثها السلطان محسن الى الشيخ (طيب إبرانجي) الوكيل البريطاني السابق في مخا، الذي كان يرافق هينز على ظهر السفينة كوت (Coote) إن السلطان ينكر إنكاراً شديداً تعهده لهينز ببيع عدن ، حيث أكد العبدلي في تلك الرسالة أن هينز قد لفق الأكاذيب عليه عند حكومته، بل إنه تحدى هينز بأن يبرز التعهد الذي يدعي فيه إنه يحمل ختمه بنقل ملكية عدن، فإن إستطاع ذلك فهو أي السلطان على إستعداد لتنفيذه في الحال[4] . ويبدو لنا من هذه الرسالة ان السلطان محسن بن فضل العبدلي الذي تصفه بعض المصادر بأنه كان يتصف باللباقة والحذر الشديدين في تعامله مع

=قد توجه الى قرية يقيم فيها صهره حسين العبدلي مع من كانوا هناك ان يقوموا بأسر هينز، وقد رافق الامير احمد مائة رجل، توجهوا معه الى عدن ، بينما استعد مائة وخمسون آخرون عند منطقة الشيخ عثمان لنجدتهم في حال تدخل بحارة السفن البريطانية الراسية في الميناء لتخليص هينز من الأسر . للتفاصيل ينظر: فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص169- 170.

1- جاد طه، المصدر السابق، ص92.
2- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص188.
3- احمد بن فضل العبدلي، المصدر السابق، ص44.
4- سلطان ناجي، الخلفية التأريخية للإحتلال البريطاني لعدن، ص40.

البريطانيين[1] . فإذا كان قد تعهد لهينز في السابق بنقل ملكية عدن الى بريطانيا، فإن ذلك كان من باب التسويف والمماطلة لتجنب شره، وقد عبر السلطان عن ذلك بقوله : **" آمنتُ في قرارة نفسي ان وجه هينز كان ينذر بالحرب، فلما رأيت فيه ذلك حاولت ان أتملص وأترك الموضوع معلقاً مدة شهرين . وهذا الرجل يريد في قرارة نفسه ان يصبح حاكماً على عدن، إلا انه لن يصل الى بغيته إلا على رقابنا "[2] .**

ويتضح من كلام السلطان محسن انه كان يحاول تحسين علاقته مع بريطانيا، وذلك لدفع الخطر عن بلاده، وكان يريد معالجة الموضوع بالطرق السلمية، لأنه كان واثقاً من إصرار بريطانيا على محاصرة عدن بإسطولها البحري القوي، كما إنه كان واثقاً من أنه لن يستطيع مقاومة الأسطول البريطاني، الأمر الذي جعله يراوغ ويماطل في حسم موضوع نقل ملكية عدن مع هينز، وكان يحاول كسب الوقت، وربما يعود ذلك الى خوفه على مستقبل سلطته من القوات المصرية، التي إقتربت من حدود سلطته وإنضمام اكثر القبائل المحيطة به الى القوات المصرية بعد وصول (ابراهيم باشا) اليها، او ربما لأن السلطان كان يطمع بالحماية البريطانية حتى تتهيأ له الفرصة لتثبيت أقدامه في الداخل[3].

وبعد كل هذه الأحداث، ثبت لهينز حقيقة موقف السلطان محسن وإبنه احمد من الأطماع البريطانية في عدن، فقام بأخطار حكومته بالمؤامرات التي تحاك ضد مصالحها، على أن تسرع فيما تراه ضرورياً لمواجهة هذا الموقف . كما إنه حذر السلطان محسن وإبنه من مغبة تصرفاتهما التي تنطوي على العداء الكامل للبريطانيين، وانها ستؤدي في النهاية الى الندم ، غير ان هذه التهديدات باءت بالفشل الذريع، نتيجة لتمسك السلطان محسن وإبنه احمد بموقفهم الرافض للتنازل عن عدن للبريطانيين[4] ، ثم أبحر هينز عائداً الى بومباي في شهر شباط عام 1838[5] .

وهكذا فشل هينز في مساعيه للحصول على تنازل رسمي من السلطان محسن وإبنه احمد عن بلادهم، على الرغم من إتباعه أساليب التحايل السياسي المتمثلة بالترغيب احياناً

1- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص187؛ فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية ، ص171، حمزة علي لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص158 .
2- سلطان ناجي، الخلفية التأريخية للاحتلال البريطاني ، ص40.
3- محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص208.
4- صباح مهدي رميض، التطورات السياسية في الجنوب اليمني 1918- 1945، إطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية التربية، 1997، ص26 .
5- عبد الحميد البطريق، المصدر السابق، ص90.

والترهيب احياناً أخرى . ولهذا بدأ البريطانيون بإستخدام أسلوب جديد ينطوي على استخدام القوة العسكرية في الاستيلاء على عدن .

المبحث الثاني : مقاومة أهالي عدن للاحتلال العسكري البريطاني عام 1839

بعد ان فشل البريطانيون في التمهيد للسيطرة على عدن بإتباع أساليب الضغط السياسي، فإنهم لجأوا الى اتباع أسلوب الضغط العسكري والمناورات الحربية لإجبار السلطان محسن العبدلي وإبنه احمد على التنازل عن عدن، وقرر البريطانيون إحتلالها بالقوة[1] . وما حادث غرق السفينة دوريا دولت إلا المبرر القانوني والمسوغ الشرعي الذي تذرعت به بريطانيا لتنفيذ مخططها في احتلال عدن، لتحقيق أهدافها الستراتيجية في تلك المنطقة الحيوية من العالم[2] . إذ كانت السياسة البريطانية في المشرق تتركز حول تأمين سير قوافلها التجارية الى الهند، لذلك عندما قررت بريطانيا ان تحتل عدن ظل هذا الاعتبار عنصراً مهماً في تلك التوجهات الاستراتيجية ، نظراً لما تتمتع به عدن من اهمية في تأمين المصالح البريطانية في الهند[3] .

وبدأت مرحلة الضغط العسكري بعد عودة الضابط البحري البريطاني هينز الى بومباي في شباط عام 1838، فقد قدم تقريراً اوضح فيه ما لحق به من إهانة من السلطان وإبنه[4]. وقدم هينز إقتراحاً الى حكومته ان تستولي على عدن بالقوة ودون التعرض لخسائر فادحة. وقال إنه لا بد من تدبير قوة تصحبه الى عدن، وإنه في مدى ساعة واحدة من الليل سيحتل عدن[5]، كما اوصى بضرورة بقاء القوة التي ستحتل المدينة لحراستها بعد ذلك على ان تساندها بعد ذلك من البحر سفينتان او ثلاث من سفن الأسطول البريطاني الهندي[6]، غير انه ذكر في ختام تقريره **" إن اكبر عقبه يخشاها في خطته هي خطر الجيوش الزاحفة التي يسيرها حاكم مصر (محمد علي) في المنطقة بعد ان وضحت لقواته أهمية عدن الحيوية مما يجعلها من جميع الوجوه أفضل ميناء في الجزيرة العربية "**[7] .

وبالإضافة الى ذلك، فإن هينز قد أكد مراراً لحكومته في تقريره هذا أن اهالي عدن لن يشكلوا عقبة في وجه رغبات البريطانيين وتطلعاتهم ، وهذا يتناقض مع المقاومة التي

1- ابراهيم العبيدي، الحركة الوطنية في الجنوب اليمني، 1945-1967، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1979، ص38.
2- شاكر الجوهري، الصراع في عدن، الطبعة الاولى، القاهرة، 1992، ص18؛ حمزة علي ابراهيم لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص158.
3- احمد محمد بن بريك، التنافس الدولي في البحر الاحمر 1869-1949، جامعة عدن، جمهورية اليمن، 2001، ص65.
4- سلطان ناجي، الخلفية التأريخية للاحتلال البريطاني لعدن، ص40.
5- محمد رفعت، المصدر السابق، ص216.
6- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص171.
7- محمد رفعت، المصدر السابق، ص217.

واجهها البريطانيون عند احتلالهم لعدن في التاسع عشر من كانون الثاني عام 1839، وفي أثناء الفترة التي أعقبت ذلك[1] . تأكد خطأ توقعات هينز عن موقف الشعب العربي في اليمن .

ويبدو ان الخيار العسكري قد تأخر بعض الشيء لأن حكومة الهند البريطانية كانت لا تزال تأمل في إمكانية تحقيق سيطرتها على عدن بإتباع الأساليب السياسية تلافياً لما تستلزمه متطلبات الحرب من تكاليف باهظة من جهة وتجنباً لزرع الأحقاد بين البريطانيين واهالي البلاد من جهة اخرى، بالإضافة الى تحقيق رغبة السلطات البريطانية في لندن بأن يتم إحتلال عدن بالاتفاق مع السلطان [2]، بل ان بريطانيا كانت تخشى ايضاً رد الفعل الذي يحدثه الهجوم على عدن لدى مصر من ناحية، ولدى القوى الأوربية المنافسة للبريطانيين من ناحية اخرى[3] . غير ان بريطانيا رأت في نهاية الأمر ضرورة إحتلال عدن حتى ولو إستوجب ذلك استخدام القوة على النحو الذي أكدته الوثائق البريطانية[4] .

وبدأت بريطانيا منذ السادس والعشرين من آذار 1838 مرحلة التفكير الجدي بإحتلال عدن بالقوة المسلحة طالما ان حاكمها السلطان محسن العبدلي لم يوافق على بيعها للحكومة البريطانية ، كما وجدت حكومة بومباي ان الموقف يتطلب ان تكون لها قوة عسكرية كبيرة وقادرة على حماية المصالح البريطانية في عدن بعد الاحتلال[5] .

ومن الأمور المهمة التي جعلت بريطانيا تسارع في إتخاذ قرارها بإستخدام القوة للاستيلاء على عدن هو ورود الأنباء الى لندن، بأن حاكم مصر محمد علي لديه مخططات، ترمي الى إحتلال عدن، على الرغم من تأكيداته للحكومة البريطانية إنه على إستعداد لتقديم كافة التسهيلات اللازمة للسفن البريطانية في الموانئ التابعة له، وإنه لا يعارض البريطانيين في إقامة محطة للفحم في عدن[6] .

1- Water field, op. cit, P. 52.
2- Ibid, P. 52.

3- **نظرت الدول العظمى آنذاك، وهي فرنسا وروسيا والنمسا الى الإنجازات البريطانية في عدن بحسد كبير، فقد حاول ممثلو تلك الدول في مصر التأثير في موقف محمد علي للوقوف بحزم ضد المساعي البريطانية في الاستيلاء على عدن، ولكن دون جدوى . للتفاصيل ينظر: علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص130.**
4- **نقلاً عن فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص172.**
5- **جاد طه، المصدر السابق، ص94.**
6- **أكد بوغوص بك، وزير خارجية مصر للكولونيل كامبل القنصل البريطاني في مصر بأن محمد علي لن يعوق حكومة بومباي في إقامة محطة للفحم في عدن، كما انه لا يعارض تحقيق هذه الرغبة في أية منطقة تابعة لمصر. للتفاصيل ينظر:=**

إن الوعود التي قطعها محمد علي لبريطانيا وتأكيده لها على عدم وقوفه بوجه المصالح البريطانية في عدن، لم تزد بريطانيا إلا تصميماً على إحتلال عدن، وشرعت بإتخاذ كافة الإجراءات للسيطرة عليها ، فبعثت الى حكومة الهند بأوامرها السرية لتنفيذ الخطة التي رسمتها وبدون تأخير، حيث قامت حكومة الهند بتجهيز حملة بقيادة الضابط البحري هينز [1] ، واوصته بأن يحاول التفاوض مع السلطان محسن من جديد، ولكنها في هذه المرة طلبت منه ان يستخدم إسلوباً عنيفاً لإرهاب السلطان وإنذاره بأنها ستتخذ إجراءات قاسية لرد الإهانة التي لحقت بالعلم البريطاني كما ان الحكومة طالبت هينز بعدم المبالغة في إظهار التساهل مع السلطان اكثر من اللازم، حتى لا يعتبر ذلك ضعفاً من جانب البريطانيين [2].

وبالإضافة الى ذلك فإن حكومة بومباي أصدرت تعليماتها الى الملازم ويسترن ((Western)) المهندس البريطاني لمرافقة الحملة[3]، ورفع تقرير الى الحكومة عن القلاع الموجودة في عدن، وعما يمكن إقامته من قلاع أخرى لحماية المدينة، وكذلك تقرير عن المباني اللازمة لإيواء الجنود البريطانيين الذين سيقومون بمهمة السيطرة عليها والدفاع عنها بعد ذلك ضد أي هجوم متوقع، خصوصاً إذا ما رفض السلطان في عدن تسليمها لتنفيذ المخطط البريطاني من خلال السيطرة عليها[4] .

كما أوصت الحكومة هينز أن يحمل معه مبالغ نقدية كبيرة وبعض الهدايا المناسبة للتأثير بها على السلطان محسن وأسرته وكبار الشخصيات الهامة في عدن[5] . وأكدت حكومة بومباي على هينز بضرورة قيامه بتدعيم علاقاته مع شيوخ القبائل العربية المجاورة لعدن ، وإحاطتهم علماً برغبة البريطانيين في صداقتهم وحسن نيتهم[6] . ويبدو

=Water field, op. cit,P. 54

1- إقترح هينز ان تتكون القوات اللازمة لمواجهة أية إحتمالات تتألف من (300) جندي من المشاة البريطانيين و (250) جندياً من المشاة الهنود و (310) جندي من المدفعية واربعة سفن حربية تحمل (114) من البحارة البريطانيين و(30) من البحارة الهنود، ويجب ان ترافق الحملة سفينتان لها قاع عميق لنقل كميات الفحم اللازمة، واخيراً إقترح هينز ضرورة إبقاء السفن الحربية فترة من الوقت في ميناء عدن عقب إحتلالها، لإشاعة الرهبة في قلوب سكان المدينة . للتفاصيل ينظر: محمد رفعت، المصدر السابق، ص219؛ جاد طه، المصدر السابق، ص96-97.

2- Water field, op. cit, P. 56.

3- أريك ماكرو، المصدر السابق، ص72؛ محمد رفعت ، المصدر السابق، ص20.

4- جاد طه، المصدر السابق، ص99.

5- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص176؛ Hoskins, op. cit, P. 201

6- المصدر نفسه، ص177.

ان حكومة بومباي كانت تقصد من ذلك عدم تجمع القبائل العربية في المناطق المجاورة لعدن للتصدي للهجوم البريطاني على عدن[1] .

صدرت الأوامر الى هينز بالتوجه نحو عدن على ظهر السفينة ((كوت)) في شهر ايلول عام 1838 ، فوصل اليها في الرابع والعشرين من تشرين الأول من العام نفسه[2]، وقد أرسل حال وصوله خطاباً الى السلطان محسن طلب فيه مقابلته او مبعوثاً من قبله يحمل كتاباً رسمياً بتوقيعه[3] . فاستجاب السلطان محسن آنذاك إلى الطلب وارسل الى هينز ممثله ((رشيد بن عبد الله)) في اليوم السادس والعشرين من الشهر نفسه، لإبلاغه بأنه لن يحصل على عدن بأية وسيلة . كما وجه الأمير احمد ابن السلطان محسن خطاباً شديد اللهجة الى هينز أكد فيه انه صاحب الكلمة العليا بعد والده، وهدد هينز بان أي هجوم من قبل البريطانيين على عدن سيواجه بكل عنف وضراوة[4] . وكان السلطان محسن قد أرسل خطاباً الى هينز اوضح فيه بأنه ملازم للفراش لشدة مرضه وشيخوخته، ولهذا فوض ابنه احمد ليكون ممثلاً عنه في كل الأمور، وانه يرجو وضع حد للمسائل المعلقة بينهما تحقيقاً لمصلحة الطرفين [5] .

إن هذا الموقف من قبل السلطان محسن وابنه الأمير أحمد يعبر عن الإرادة الحرة القوية والرفض القاطع للسيطرة البريطانية على عدن . وكان السلطان محسن الذي آثر المماطلة مع البريطانيين حتى يأمن شرهم ويدفع الخطر عن بلاده بالطرق السلمية مؤمناً بوجهة نظر ابنه احمد والرافضين من شعبه للاحتلال الأجنبي، وبعدالة موقفه تجاه المحاولات البريطانية في السيطرة على عدن[6] .

إزدادت الأوضاع تفاقماً بعد رفض السلطات العاملة في ميناء عدن في اليوم السابع والعشرين من تشرين الأول 1838 إمداد سفينة هينز المسمات ((كوت)) بالوقود والماء

1- كانت أبرز القبائل المجاورة لعدن هي الفضلي وتقع شرقي عدن ويبلغ سكانها 38الف نسمة، والحوشبي وتقع شمال شرقي وسكانها 20 الف نسمة، والعقربي ويبلغ عدد سكانها 1500 نسمة، وكانت تلك القبائل تتميز بالتخلف الاجتماعي ، إضافة الى الصراعات القبلية فيما بينها . للتفاصيل ينظر: محمود الشرقاوي، المصدر السابق، ص16؛ حمزة علي لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص160.
2- أريك ماكرو، المصدر السابق، ص72.
3- جاد طه، المصدر السابق، ص100؛ محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص214.
4- جاد طه، المصدر السابق، ص.101
5- جاد طه، المصدر السابق، ص.102
6- محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص.215

اللازم لها[1] . بعد ان صدرت الأوامر من الأمير احمد بالامتناع عن التعامل مع البريطانيين في أي شئ[2]، فامتثلوا الى الأمر وقطعوا المعونة عن المعتدين، ومنع أي إتصال بينهم وبين أهل الميناء[3] . وبعد تلك الأحداث أعلن هينز مهدداً بأن موقف السلطان هذا يعني إعلان الحرب على الحكومة البريطانية . كما أشار هينز الى ان القوات البريطانية إذا ما تدخلت فسوف يفقد السلطان كل ما تعهدت به الحكومة البريطانية من الأموال التي وعد بها هينز أثناء المفاوضات الأولى لقاء تنازله عن عدن، نظراً لعدم إعطاء موافقته على تحويل عدن الى ملكيتها[4] .

ويبدو لنا وكما تؤكده اكثر المصادر أن ادعاء هينز بإرتباطه مع السلطان محسن ارتباطاً مبدئياً بالتنازل عن عدن وتحويلها الى ملكية الحكومة البريطانية ليس صحيحاً ، فكل الذين درسوا الوثائق البريطانية المتعلقة بهذا الموضوع وخاصة سجلات حكومة الهند البريطانية في الفترة الممتدة بين عامي (1836-1839)، لم يجدوا في هذه السجلات التي تتضمن العديد من المراسلات على الخطاب الذي قيل ان السلطان محسن قد تعهد فيه لهينز بالتنازل عن عدن للحكومة البريطانية[5] . وأثناء المدة التي إنتظر فيها هينز وصول القوات البريطانية الى عدن ، لجأ الى احد الأساليب الفعالة للحروب وهو إستخدام أسلوب الحصار الاقتصادي حول الميناء، ومنع التبادل التجاري مع الميناء في محاولة منه لخنق الحياة التجارية في الميناء والتأثير الفعال على معنويات السكان ومعيشتهم[6] .

وأعلن هينز الحصار على عدن ومنع سفن التموين من الدخول الى الميناء واستمر الحصار شهراً واحداً وقعت خلاله مناوشات بين الفريقين وأطلقت مدفعية صيره قنابلها على السفينة كوت فأصابت جنديين بريطانيين بجروح[7] ، وبسبب هذا الحادث قام هينز بتعزيز حصاره على عدن، ثم قدم اقتراحاً الى حكومته بإرسال سفينة حربية ضخمة في أسرع وقت ممكن لتقوم بمظاهرة حربية لإرهاب أهالي عدن، وذلك لمنعهم من استخدام القوة والصمود أمام القوات البريطانية عند وصولها الى عدن[8] .

1- شاكر الجوهري، المصدر السابق، ص.18
2- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن والجزيرة العربية، ص.188
3- محمد رفعت، المصدر السابق، ص.219
4- جاد طه، المصدر السابق، ص103.
5- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص180؛ جاد طه، المصدر السابق، ص105.
6- Marston, op. cit, P. 69.
7- حمزة علي لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص188.
8- جاد طه، المصدر السابق، ص107.

ومن خلال ما تقدم يتضح ان هينز أراد بهذا المسعى التأثير على السكان لكي يتم من خلالهم إقناع السلطان محسن بالموافقة على التنازل عن عدن، وعلى الرغم من ذلك وكبادرة حسن نية قام السلطان محسن في العاشر من تشرين الثاني 1838 بإرسال بعثة من قبله للتشاور مع هينز، لتعرض عليه تقديم المياه والمؤن اللازمة، إلا انه أكد على هذه البعثة ان لا تتعرض لموضوع نقل ملكية عدن . غير ان هينز لم يتنازل عن مطالبه السابقة وابلغ البعثة ان الذي يهمه هو إنهاء موضوع التنازل عن عدن، وفي هذه الحالة سوف تتغاضى الحكومة عن الإهانات التي وجهت اليها[1] ، لكن أعضاء البعثة إستنكروا فكرة التنازل عن عدن، التي يرفضها بكل إصرار السلطان محسن وابنه احمد، لأنها تتنافى مع إعتزاز العرب بتربة بلادهم، وتتعارض مع قيمهم العربية الأصيلة[2] .

ولهذا قام قائد الحملة البريطانية هينز بإبلاغ حكومته بقرار السلطان محسن وابنه احمد برفضهم التنازل عن عدن، وانه قد إستنفد كل أساليب الضغط السياسي، بالإضافة الى أن الحصار الذي فرضه على ميناء عدن لم يجد نفعاً معهم، الأمر الذي جعل السيطرة على عدن بالقوة العسكرية ضرورة حتمية لحماية المصالح البريطانية في البحر الأحمر في ذلك الحين[3] .

وبذلك فقد اصبح الخيار العسكري هو الراجح في تلك المرحلة، فقام البريطانيون بمناورات حربية قرب ميناء عدن، التي أدت الى اتخاذ القرار العسكري في بدء الهجوم الفعلي على .

بدأت المناورات الحربية بوقوع بعض المناوشات في شهر تشرين الثاني 1838 بين أهالي عدن ورجال السفينة الحربية البريطانية ((كوت)) ففي يوم التاسع عشر من الشهر نفسه أرسل هينز أحد عملائه من العرب ويدعى الشيخ طيب إبراهيم الى ميناء (بربرة) المواجه لميناء عدن لتأجير قوارب لجلب المياه والخشب والمؤن اللازمة للسفينة الحربية ((كوت)) ، لتموين السفن الحربية الأخرى عند الحاجة، وقام أشخاص من أهالي عدن من أهالي عدن بضرب إحدى تلك القوارب في العشرين من تشرين الثاني ، وأصابوا القارب بثلاث إطلاقات ولم يصب أحد ممن كانوا فيه، كما أطلقوا نيران بنادقهم على قارب كان فيه عدد من الضباط البريطانيين [4] .

1- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص183.
2- جاد طه، المصدر السابق، ص107.
3- محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص220.
4- جاد طه، المصدر السابق، ص118.

إستغل هينز هذا الحادث كمبرر آخر للإسراع باستخدام القوة لإحتلال عدن، ويضاف الى ذلك ان الأحوال السياسية في عدن والمناطق المجاورة لها كانت غير مستقرة وخاصة قبيلة الحوشبي التي تقع الى الشمال الغربي من عدن، كانت في حرب مستمرة مع سلطة العبدلي، بالإضافة الى المتاعب التي كانت تثيرها سلطنة الفضلي للسلطان محسن وابنه احمد الذين رفضوا الإنصياع لمطالب البريطانيين، وقرروا الدفاع عن عدن والوقوف بوجه الحملة العسكرية البريطانية عليها[1] .

كما إستغل هينز الصراعات القبلية المستمرة بين سلطة العبدلي والقبائل المجاورة لها، فقد حاول بعض رؤساء تلك القبائل الإتصال بهينز والاستعانة به ضد القبيلة التي كانت تتنازع معها، ولم يكتفوا بذلك بل ان بعضهم قد تعاون معه لتسهيل مهمته في إحتلال عدن، فقد بعث السلطان حامد بن عبد الله شيخ قبيلة الفضلي برسالة الى هينز في العشرين من تشرين الأول 1838 وقدم له التحيات في تلك الرسالة، وطلب منه بأن يرسل اليه قارباً كبيراً لغرض تزويده بالخشب والماء والمؤن التي تحتاجها قواته وسفنه الحربية المتجهة الى عدن[2] .

وقد شعر هينز بسعادة كبيرة لذلك العرض من قبل السلطان حامد الفضلي، ورد برسالة الى السلطان حامد معبراً فيها عن شكره لهذه الرسالة، وارسل له مركباً مع عدد من البراميل الخشبية بالإضافة الى إثنين من الضباط مع أربعة رجال لحماية المركب إذا ما حاول رجال من قبيلة العبدلي مهاجمته، وطلب هينز من السلطان حامد الفضلي حث رجاله على الإسراع بإرسال المعونات من الماء والخشب[3] .

وفي الثامن والعشرين من تشرين الثاني 1838 إتصل سكرتير حكومة بومباي بالكابتن هينز وابلغه بأن قائد الأسطول الهندي سيرسل السفينة آن كريشن ((Anne Criston)) الى عدن وعليها كمية من الفحم لتموين السفن البخارية في البحر الأحمر ، ولحمل المؤن والمياه للسفينة كوت الراسية في مياه عدن[4] .

1- قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص29.

2- [IOR P/ 361/ 12] Letter from sultan Hamad bin Abdullah of the fadhli to Huines, 20 November 1838, in Doreen Ingrams and Leila Ingrams (ed), Records of Yemen (1798-1960), vol- 2 (1838- 1854), London, 1993, P. 56.

3- [IOR /sec/ Bom/ 104] Haines to sultan hamad, 23 November 1838, in Records of Yemen, vol- 2 (1838-1854), P. 56.

4- جاد طه، المصدر السابق، ص114.

كما أصدرت حكومة بومباي تعليماتها الى الضابط البحري سميث ((Smith)) وقائد السفينتين فولاج ((Volage)) التي تحمل (28) مدفعاً و كرويزر ((Cruizer)) التي تحمل (16) مدفعاً اللتين كانتا مكلفتين بمهمة أخرى في نهر السند، فتم إصدار الأوامر إليهما بتحويل مسارهما من الواجب المكلفتين به في الهند والإبحار فوراً تجاه عدن[1] .

كما أعدت حكومة بومباي كافة الترتيبات اللازمة لإمداد الحملة بكميات المياه الى عدن في السفن التي ستنقل القوات [2] . وبالإضافة الى ذلك فقد أكد هينز على ضرورة إختطاف بعض الأفراد من العرب للحصول على معلومات منهم قد تكون مفيدة، بهدف إتخاذ الحيطة والحذر وللتعرف على تحركات سلطان عدن واتباعه لمواجهة الغزو البريطاني[3].

وعلى أية حال فقد إستمر هينز في حصاره لعدن، التي بدأ سكانها يختنقون تحت وطأة ذلك الحصار، فتوقفت التجارة في المدينة وإنقطع وصول المؤن اليهم عن طريق البحر[4]، ونتيجة للظروف الصعبة التي مر بها أهالي عدن جراء الحصار، فقد عمد أحد أشرافها وهو السيد زين بن عيدروس الى الاتصال بهينز لحل الأزمة سلمياً بينه وبين السلطان محسن، فبعث ابن عيدروس برسالة الى هينز في التاسع والعشرين من تشرين الثاني 1838 بين له فيها ان أهالي عدن قد إرتعبوا من الإجراءات التي قامت بها القوات البريطانية، وطلب منه ان يتناسى ما حصل بينه وبين السلطان محسن وقال في الرسالة **" لا تبق شيئاً في قلبك . أرسل لي جواباً "[5] .**

إلا إن هينز كان مصمماً على إنجاز مهمته في إحتلال عدن، وتظاهر في جوابه للسيد زين العيدروس بأنه يكن له الاحترام ونصحه بإخلاء سكان المدينة حفاظاً على سلامتهم ، بل إنه برر هجومه على عدن بإن جماعة السلطان محسن العبدلي هم الذين أعلنوا الحرب بإطلاقهم النار على السفن البريطانية [6] .

1- أمين سعيد، الدولة العربية المتحدة تأريخ الاستعمار الإنكليزي في بلاد العرب، ج1، مطبعة عيسى الحلبي وشركائه، القاهرة، د. ت، ص267.

2- جاد طه، المصدر السابق، ص114 .

3- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص.186

4- جاد طه، المصدر السابق، ص120.

5- [IOR P/ Sec/ Bom/ 104] , letter from sayyid zayn to Haines, 29 November 1838, in Records of Yemen, P. 56.

6- [IOR P/ Sec/ Bom/ 104] , Letter from Haines to sayyaid zayn, 29 November, in Records of Yemen, P. 57.

وفـي الثـامن عشـر مـن كـانون الأول 1838 وصـلت الـى ميناء عـدن السـفينتان البريطانيتـان ماهي ((Mahi)) وآن كريشون ((Ann Kreshon))[1] ، كما صدرت التعليمات بإرسال عشرة مدافع الى عدن للإستيلاء عليها[2]. وكانت السفينتان (فولاج) و (كرويزر) تحت قيادة الميجور توماس بيلي ((Major Thomas Baillie)) الذي طلب أمراً من حكومة بومباي بوضع نفسه تحت قيادة السلطة السياسية التي يقودها هينز [3] .

إن الشيء الملفت للنظر في هذا الجانب هو حجم الاستعدادات التي أعدتها بريطانيا لغزو عدن، فإن تلك الاستعدادات مبالغ فيها الى حد كبير قياساً الى عدد السكان[4] . وكان هؤلاء السكان بعيدون كل البعد عن التنظيم العسكري، وحتى ان وجد فإنه لا يعدو سوى بعض التحصينات الدفاعية لحماية المدينة وبما يتناسب مع قدراتهم وامكانياتهم المتواضعة[5]. مما يؤكد ان تلك الاستعدادات لم تكن لمواجهة سكان عدن فحسب بل لمواجهة ما يمكن ان يقوم بتجميعه السلطان محسن وابنه احمد من رجال القبائل المجاورة لعدن للدفاع عنها ضد الغزو الأجنبي ايضاً، بالإضافة الى خشية بريطانيا من قيام المصريين بمساعدة السلطان وابنه ضد البريطانيين ، كذلك أدرك هينز خطورة الموقف اذا ما إجتمعت القوى الوطنية وإتفقت على التصدي للبريطانيين، لذلك عمل هينز على إستغلال الخلافات الداخلية بين قبائل جنوبي اليمن لتمزيق الجبهة الداخلية التي يمكن ان تقف بوجه القوات البريطانية[6] .

وفي الحادي عشر من كانون الثاني عام 1839 وقعت مناوشات بين السفينة الحربية ((ماهي)) ومدفعية صيرة إنتهت بمقتل اكثر من عشرين مقاتلاً من الجنود العرب وجرح جنديين بريطانيين[7] .

1- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص189.
2- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية ، ص287.
3- المصدر نفسه، ص183.
4- إتفق بعض المؤرخين ان عدد سكان عدن في تلك الفترة يقدر بألفين وخمسمائة نسمة إلا ان معظمهم خرج من المدينة عند مجئ القوات البريطانية اليها وبدأ عملياتها الحربية . للتفاصيل ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص197؛ Play fair, op. cit
5- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص13.
6- حمزة علي ابراهيم لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص160.
7- سلطان ناجي ، التأريخ العسكري لليمن، ص13.

كما خطط كل من الكابتن سميث والميجور بيلي ان يقوما بإنزال على عدن، وعندما إقترب سميث من جزيرة صيرة وكان يقود السفينة الحربية (فولاج) واجه مقاومة شديدة من المقاتلين اليمنيين في عدن الذين ضربوا السفينة بالبنادق والمدافع التي كانت توجد على جزيرة صيرة المحصنة تحصيناً جيداً[1] . وفي تلك الاثناء كان هينز على إتصال مستمر مع حكومة بومباي ، وكان يأمل ان يحقق مهمته بالاستيلاء على عدن دون الاستمرار بالمعركة، ولذلك أرسل هينز إنذاراً نهائياً الى السلطان محسن بن فضل العبدلي اتسم بالشدة والتهديد وقد جاء في الإنذار **" إنني أنبئكم بوصول قوات بريطانية ضخمة لإحتلال عدن، وكذلك أخبركم بتعليمات حكومة بومباي في انه مسموح لكم الى حين غروب الشمس في يوم السادس عشر من كانون الثاني 1839 ان تحولوا عدن سلمياً الى ملكية بريطانيا كما إتفقنا على ذلك من قبل، ودعوني أؤكد لكم بأن أي مقاومة من جانبكم لن يكون لها قيمة "**[2] .

وقد أجاب السلطان على هذا الابتزاز بطلب إمهاله ستة أيام لكي يبحث الأمر مع رؤساء قبيلته، إلا ان واقع الحال بدا ان المهلة التي طلبها السلطان ما هي إلا محاولة منه لكسب الوقت، فهو كما أسلفنا اخذ يقيم الاستحكامات، ويحصن القلاع أي إنه كان يعد نفسه للحرب ، ومما يؤيد هذا الرأي ان رشيد بن عبد الله ممثل السلطان في المفاوضات بينه وبين هينز الذي ثبتت خيانته مراراً وإتصاله بهينز من وراء ظهر السلطان ، أرسل خطاباً سرياً الى هينز أخبره فيه ان المهلة التي طلبها السلطان هي للحصول على رجال يقاتلون معه من المناطق المجاورة، وكذلك اوضح رشيد ان العبادلة قد أعدوا المدافع الكبيرة للاستخدام السريع[3] .

وكان عامل الخيانة التي قام بها رشيد بن عبد الله من أهم أسباب إنتصار العدو . وكان الواجب على رشيد ان لا يتصل بهينز او غيره ويكشف له أسرار أبناء جلدته وانه قد خالف بسلوكه المشين مقومات الوكيل او المستشار التي يقع في مقدمتها الأمانة وكتمان السر بالإضافة إلى خيانة دينه ووطنه .

وفي صبيحة يوم التاسع عشر من كانون الثاني عام 1839 كانت القوات البريطانية قد أكملت إستعداداتها للهجوم الأخير على عدن، وكانت الخطة ان تنزل القوات حول جزيرة صيرة في فرقتين . وكان هناك إثنا عشر مدفعاً يمنياً لحراسة نقطة الإنزال الوحيدة في

1- أمين سعيد، المصدر السابق، ص290.
2- المصدر السابق، ص291.
3- جاد طه، المصدر السابق، ص126 .

الجزيرة . وفي الساعة التاسعة والنصف في نفس اليوم تقدمت السفينة (فولاج) ببطء نحو أقوى مراكز الدفاع الساحلية، وبعد عشرة دقائق تقدمت السفينة (كوت) نحو موقعها وإستطاعت مدافع العدو ان تسكت مدافع الساحل العربية، والحقت الدمار بالقلعة الرئيسية وسقطت أبراجها على الأرض ، فضلاً عن إشعال حرائق في أماكن كثيرة في تلك الجزيرة[1] .

وفي الساعة الحادية عشر والنصف من نفس ذلك اليوم، قام البريطانيون بإنزال قواتهم على ساحل مدينة عدن، وكان أول مكان تتجه اليه القوة على الساحل هو مكان يوجد فيه مدفع كان يطلق قذائف زنة كل واحدة منها 69 رطلاً . وكان خلف هذا المدفع مقاتل يمني شجاع كان يطلق النار من بندقيته بالإضافة الى استخدام المدفع ، ولم يستطيعوا زحزحته حتى تقطع جسمه إرباً إرباً من رصاصهم[2] .

ثم بدأت الفرقتان البريطانيتان تتجهان نحو المدينة . أما بعض سكان المدينة العزل من الأطفال والشيوخ والنساء فقد إتجهوا جميعاً الى مسجد العيدروس[3] . وبعد ذلك إستطاع شخص اسمه راندل ((Randel)) ان يرفع العلم البريطاني على قصر السلطان محسن بن فضل العبدلي سلطان لحج وعدن الذي فر مع أبنائه وحاشيته واعيان عدن الى لحج[4] . ثم تقدم الميجور بيلي مع فرقة عسكرية بريطانية باتجاه باب عدن الرئيسي وأسقطه بعد ان واجه مقاومة شديدة، وبعد الاستيلاء عليه تقدم لاحتلال مناطق أخرى، وترك في باب عدن مجموعة لحراسته، تكونت من عدد من الجنود والضباط البريطانيين، بالإضافة الى إناطتهم بواجب تأمين سير القوات البريطانية[5] .

1- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص194.
2- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص13- 14.
3- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص14.
4- تشير بعض المصادر انه تم إلقاء القبض على السلطان محسن وأودع في مسجد العيدروس تحت حراسة قوية . للتفاصيل ينظر: جاد طه، المصدر السابق، ص127؛ حمزة علي ابراهيم لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص163.
5- أثناء عودة الفرقة الى المدينة وجدوا (129) أسيراً من الجانب اليمني، كانوا قد أرسلوا من جزيرة صيرة، وعلى الرغم من انهم كانوا اسرى فقد رفضوا تسليم اسلحتهم . وقام احدهم وطعن الضابط الذي حاول تجريده من خنجره بالقوة وكذلك المترجم العربي الذي كان مع الحملة البريطانية . وقام الجنود البريطانيون بإطلاق النار على الاسرى العزل وقتلوا إثنى عشر منهم وبالمقابل استطاع هؤلاء الاسرى ان يقتلوا بخناجرهم إثنين ويجرحوا إثنين من البريطانيين . للتفاصيل ينظر: سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص15.

وكانت الخسائر في الجانب البريطاني قليلة جداً ووصفت بالتافهة، إذ لم تتجاوز الخمسة عشر بين قتيل وجريح، أما خسائر العرب فقد كانت (139) شهيداً و(25) جريحاً من بينهم احد زعماء القبائل وهو الشيخ رجب العزيبي واحد أقارب السلطان محسن وهو علي سلام[1] . وهكذا تمكن البريطانيون من السيطرة على عدن بالقوة في التاسع عشر من كانون الثاني عام 1839[2] .

وقد شهد البريطانيون ببسالة المقاومة اليمنية وقدروا ان عدد المقاتلين بلغ ألفاً، ولولا ان المدافع اليمنية الرابضة على صيرة كانت ثابتة وغير متحركة في كل الجهات لأصلت البريطانيين ناراً حامية . وقد إستطاع البريطانيون عن طريق الخديعة الحربية ان يتقربوا بأسطولهم الى أسفل الجزيرة بحيث لم تعد المدافع اليمنية قادرة على تصويب نيرانها ضد السفن المغيرة . ويبدو لنا شراسة تلك المعركة من أعداد الشهداء والجرحى اليمنيين الذين سقطوا في ذلك اليوم[3]. ولم تسقط عدن بيد المحتلين إلا بعد أن أروتها دماء الشهداء العرب من أهالي عدن والمناطق المجاورة لها[4] .

وهكذا استولى البريطانيون على عدن نتيجة لإنعدام التكافؤ بين القوات البريطانية المزودة بأحدث الأسلحة والمعدات العسكرية . أما الجنود العرب فكانت تنقصهم الخبرة والأسلحة الحديثة، وبذلك كانت عدن أول بلد عربي تحتله بريطانيا في جزيرة العرب . وكانت أهدافهم من السيطرة عليها تلتقي مع مصالحهم الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية في أهم طريق لمواصلاتهم الى الهند وبلدان الشرق وهو طريق البحر الأحمر .

1- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص196-197؛ حمزة علي ابراهيم لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص163.
2- شاكر الجوهري، المصدر السابق، ص18؛ Hunter, op. cit, P. 164 ؛ محمد عبد الحسين الحلي، المصدر السابق، ص225.
3- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص15 .
4- كامل المشاهدي، المصدر السابق، ص102 .

المبحث الثالث : المقاومة العربية والمشكلات التي واجهتها بريطانيا في عدن بعد الاحتلال

أدت المقاومة العربية للاحتلال البريطاني الى ظهور عدداً من المشاكل للحكومة البريطانية ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها هينز في تحقيق الاستقرار السياسي في عدن، فقد واجه أثناء عمله كمقيم سياسي في عدن الكثير من المشاكل، ومن بين أهم تلك المشاكل الصراع العنيف الذي نشب للإستئثار بالسلطة بين الإدارة المدنية السياسية الممثلة بهينز، والجناح العسكري الذي يمثله الميجور بيلي[1] . إذ حقد هؤلاء على هينز، وذلك لأنه كان مسؤولاً عن مدينة عدن بأكملها، وله سلطات واسعة، الأمر الذي أدى الى إشتداد الصراع بينه وبين الضباط في الجناح العسكري البريطاني، لأنهم كانوا ينظرون إليه انه مجرد ضابط بحري بسيط، وليس مقيماً سياسياً صدرت الأوامر بتعيينه في هذا المنصب، لاسيما إنهم كانوا أعلى رتبةً عسكريةً منه[2] .

ويعود السبب في إشتداد هذا الصراع الى ان القيادة العسكرية البريطانية في بومباي الى جانب رجال السلك العسكري البريطاني في عدن، الذين لم يدركوا أهمية عدن كميناء تجاري مهم، بل إنهم نظروا إليها على أنها موقع إستراتيجي فقط، ويجب أن تكون إدارته في يد السلطات العسكرية وحدها خاصة، وان عدن قد فرضت عليها الأحكام العرفية بعد تعرض القوات البريطانية للمقاومة من القبائل العربية المحيطة بها، مما أعطاها صفة الصبغة العسكرية لحكمها وإدارتها[3] .

إن حكومة بومباي وقفت إلى جانب هينز، حيث أكد كارناك ((Carnac)) الحاكم البريطاني في بومباي حينذاك ان هينز هو أنسب شخص للمنصب الذي يشغله في عدن[4]. وقد عارضت الحكومة البريطانية تلك المحاولات والضغوط التي مارسها العسكريون البريطانيون في عدن على الإدارة المدنية، وأكدت ثقتها بهينز، ومنحته صلاحيات كبيرة في إدارته لعدن . كما إنها رفضت كافة الأعذار والحجج التي قدمها الميجور بيلي ليبرأ ساحته في الصراع الذي دار بينه وبين هينز ، وأصدرت قراراً بعزله وتعيين الكولونيل كابون ((Colonel Capon)) قائداً للحامية العسكرية في عدن في شهر أيلول عام 1839، وقد أعتبر كابون نفسه مسؤولاً عن الإدارتين المدنية والعسكرية بموجب ذلك القرار، ولا شك أن ذلك يعتبر تعدياً على إختصاصات هينز، بإعتباره هو المقيم السياسي

1- Water field, op. cit, P. 114.
2- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية ، ص209.
3- Water field, op. cit, P. 114.
4- فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية، ص207.

الذي يمثل الحكومة البريطانية في عدن، لذلك فقد اشتد الصراع من جديد بين الإدارة المدنية التي يمثلها هينز، والجناح العسكري الذي يمثله الكولونيل كابون مرة أخرى، الذي اعتقد خطأً ان التعليمات الصادرة إليه من قيادته العسكرية في بومباي تخوله بأن يكون المسؤول عن الإدارة المدنية والعسكرية في عدن في آن واحد معاً[1] . وقام كابون بناءً على هذا الاعتقاد بإصدار قرارات تتعارض مع سياسة هينز في عدن ، ومن هذه القرارات تطبيق الأحكام العرفية في عدن ، إضافة الى انه اصدر قراراً عاجلاً بنزع السلاح عن كل سكان المدينة، وحظر عليهم حمله، كما أبلغ الكولونيل كابون هينز بإصدار تعليماته الى أهل المدينة بأن أي شخص يضبط في حوزته أي نوع من الأسلحة سيقدم على الفور الى المحكمة العسكرية ، إلا ان هينز رفض أن يعلن تلك التعليمات على السكان المدنيين، واعتبرها تحدياً له وخروجاً على سلطاته كمقيم سياسي ومسؤول عن الإدارة المدنية في عدن[2] .

لكن الكولونيل كابون إستمر في تحديه لهينز، وأعلن انه سيقوم بإعلام الأهالي بتنفيذ تلك التعليمات إذا أصر هينز على الإمتناع عن إعلانها على السكان المدنيين في عدن ، غير ان كابون أحس بمدى الضيق الذي سببه لهينز وعلم بأن طلب تنفيذ تلك التعليمات قد أغضبه أشد الغضب، وأعتبر ذلك تحدياً سافراً له وللإدارة التي يمثلها ، ولهذا فقد أجل كابون التصرف في هذا الموضوع، ولكنه في نفس الوقت وضع حراسة مشددة على المحلات التجارية في أسواق عدن، لتنفيذ تعليماته ومراقبة حمل الأسلحة فيها[3] .

إحتج سكان عدن لدى هينز على قرارات الكولونيل كابون، وعبروا عن تذمرهم وإستيائهم من تلك القرارات، وأوضحوا لهينز بأن مصالحهم التجارية وحقوقهم الشخصية بدأت تتأثر كثيراً نتيجة التدخل الكبير في شؤونهم من قبل الحامية العسكرية في عدن، لذلك أبلغ هينز حكومة بومباي بأن تصرفات العسكريين في عدن سببت له الكثير من المتاعب ، كما أضرت تلك التصرفات بمصالح المدنيين في عدن، وأساءت لمشاعرهم وحقوقهم الوطنية ، وأوضح هينز لحكومة بومباي بأن تلك التصرفات من قبل العسكريين البريطانيين سوف تعمق الفجوة بين الإدارة البريطانية في عدن وسكان المدينة .

1- Marston, op. cit, P. 82.
2- Water field, op. cit, P. 115.
3- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص210.

لا شك ان هذا الصراع العنيف حول الاسئثار بالسلطة بين الجناح العسكري في عدن، والمقيم السياسي هناك، قد أدى الى إضعاف مركز البريطانيين في عدن بوجه عام[1] .

وبناءً على البلاغ الذي تقدم به هينز الى الحكومة البريطانية حول الأضرار التي لحقت بالمصالح البريطانية في عدن من جراء تدخل الجناح العسكري في الشؤون الداخلية لسكان عدن[2] ، فقد سارعت الحكومة الى تصحيح الأوضاع فيها، فأبلغت هينز بتعليماتها في الثالث والعشرين من آذار 1840 بأن القرار الخاص بالأحكام العرفية التي أصدرها الكولونيل كابون قد ألغيت نهائياً ، وان تعليمات جديدة قد صدرت عن الحكومة البريطانية في بومباي، تؤكد ان الكولونيل كابون مسؤول عن الحامية العسكرية في عدن فقط، وقد أبدت حكومة بومباي إعتذارها لهينز عن التدخل الذي حصل من قبل القادة العسكريين البريطانيين في سلطاته المدنية والسياسية المكلف بها من قبل الحكومة البريطانية ، وأعلنت الحكومة لأهالي عدن انهم سوف يحكمون تبعاً لما تقضي به قوانينهم الخاصة والعرف المعمول به أصلاً في البلاد . على ان يتم ذلك في نطاق السلطات المخولة لهينز بموجب الصلاحيات التي منحت له من الحكومة البريطانية في بومباي كمقيم سياسي مسؤول عن الإدارة المدنية في عدن[3] .

ولم تكتفِ حكومة بومباي بذلك، بل إنها أرسلت الى كابون خطاباً شديد اللهجة، أوضحت فيه ان اضراراً كبيرة سوف تلحق بالمصالح البريطانية إذا إستأثرت السلطة العسكرية بالنفوذ المطلق في عدن ، وقد طلبت الحكومة منه ان لا يتدخل في شؤون سكان المدينة او في أسواقها التجارية، إلا من خلال التوجيهات الصادرة اليه من المقيم السياسي، وان تقتصر صلاحياته على توجيه قواته العسكرية ومعاونيه الذين تتكون منهم الحامية البريطانية في عدن [4] .

كما إن الحكومة أحاطته علماً بأن الأسلوب الذي كان يستعمله في خطاباته التي أرسلها الى هينز كانت غير لائقة ولا مقبولة منه، خاصة عندما أصر على التدخل في الإدارة المدنية ، ومن الأمثلة على ذلك توجيه الاتهامات ضد بعض الشخصيات العاملة في

1- Water field, op. cit, P. 115.
2- Water field, op. cit, P. 116.
3- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص212.
4- فاروق عثمان أباظه، المصدر نفسه ، ص212 .

الأجهزة المدنية، التي لا تخضع لسلطاته، لأن تلك الأجهزة والعاملين فيها تقع ضمن مسؤولية المقيم السياسي هينز، وبموجب الصلاحيات التي منحت له[1] .

كما تلقى كابون رسالة أخرى، تعبر عن معارضة حكومته في بومباي لقيامه هو شخصياً او بعض الضباط الذين يعملون تحت قيادته بمراسلة أي شخص من الزعماء الوطنيين في المنطقة المحيطة بعدن ، ومنعته كذلك ان لا يقيم اتصالات مع أي من الافراد هناك [2] .

إن تلك الإجراءات التي إتخذتها الحكومة البريطانية في بومباي ضد الجناح العسكري قد شكلت إنتصاراً للإدارة المدنية، التي كان يمثلها هينز المقيم السياسي في عدن.

وهكذا فشل الجناح العسكري البريطاني في عدن في محاولته للسيطرة على إدارة المدينة والاستئثار بالسلطة فيها عقب احتلالها . وقد أدى ذلك الفشل الى تدعيم مركز هينز كمقيم سياسي بريطاني مسؤول من قبل الحكومة البريطانية[3] .

لقد كان لهينز دور كبير في تنشيط الحركة التجارية في عدن، لأن ذلك كان يعتبر من بين الأهداف المهمة لبريطانيا في احتلال عدن[4] . فقد قام هينز بتحويل التجارة اليمنية الى عدن، وخصوصاً تجارة البن، التي كانت تمر عبر ميناء مخا، وكان تحويل تجارة البن الى ميناء عدن قد شكل ضربة قاسية للتجارة في الموانئ اليمنية الأخرى، لأن البن يعتبر من المحاصيل الرئيسية في اليمن حينذاك، وكان لهذا الإجراء دور كبير في تصفية النفوذ المصري في اليمن، حتى لا تبقى له أية قاعدة اقتصادية محلية يستند اليها في البقاء هناك، فيضطر المصريون الى الرحيل عن اليمن [5] . وبذلك تنفرد بريطانيا بالسيطرة على تلك المنطقة بأكملها .

1- قام الكولونيل كابون بإبلاغ هينز انه يشك بمدى إخلاص الملا جعفر للحكومة البريطانية الذين لا يتجاوبون مع مصالح الحكومة . وكان الملا جعفر من اكثر العملاء لهينز، فعن طريقه يحصل هينز على الكثير من المعلومات السرية الخاصة بالقبائل المجاورة لعدن . للتفاصيل ينظر: سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص17.

2- Water field, op. cit, P. 117.

3- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص141.

4- Kour, op. cit, P. 23.

5- Marston, op. cit, P. 99.

ولكن مع كل الإجراءات التي مارسها هينز في سياسته لكسب ود الأهالي في عدن والمناطق المحيطة بها، ومحاولته تحويل التجارة وتعزيز المهارات الفنية للعمال في عدن، إلا ان إقامة المعسكرات البريطانية التي كانت تحتل الواجهة البحرية كلها، قللت من إندفاع التجار للاستقرار والعمل في عدن ، وذلك بسبب إنعدام الأمن ونقص الفرص في بناء مساكن مستقرة ودائمية للتجار، وكان الأهالي في عدن يخشون من بناء البيوت في أماكن قد تطالب بها الحكومة البريطانية ، لكي تستخدمها في إنشاء مباني ومعسكرات لوحداتها العسكرية[1] .

وقد عالج هينز هذه المشكلة بتقديمه طلباً الى حكومته في أوائل عام 1840 أشار فيه الى ضرورة عدم موافقتها على أية خطة لإقامة معسكرات تؤثر على سير العمليات التجارية . وقد وافقت الحكومة على ذلك الطلب بعد ان شعرت بأنه لو سارت الأمور مثلما يريد الجيش فسوف تنهار التجارة في عدن، وتتم إعاقة نمو وتطور العمليات التجارية والاقتصادية، لأن ذلك يشكل أحد الأهداف الرئيسية لبريطانيا من إحتلالها لعدن [2]. كما يشكل ذلك ايضاً تسخيراً لموقع عدن لتحقيق تلك المصالح البريطانية في الجوانب الاقتصادية والعسكرية .

بعد ان تخلص هينز من التدخلات السافرة للجناح العسكري في شؤون سلطاته المدنية والسياسية المكلف بها في عدن من الحكومة البريطانية ، ارسل تقريراً الى حكومة بومباي في نهاية شهر آذار عام 1840، اوضح فيه تزايد العمليات التجارية وإنتظامها، مما يؤكد استقرار اهالي عدن في مدينتهم، وانصرافهم الى ممارسة نشاطهم التجاري، والعمل على إزدهار مدينتهم[3] .

ثم أكد هينز للحكومة البريطانية ان استقرار المدينة وزيادة النشاط التجاري فيها يستلزم منها إعداد خطة لإعادة بناء مدينة عدن، لأن العمليات العسكرية لم تبقِ فيها أبنية يمكن الاستفادة منها سوى مسجد العيدروس ، وأوصى بضرورة إعادة التصميم العمراني لمدينة عدن، وتخصيص كل جزء منها لغرض معين[4] . كما انه قدم إقتراحاً الى الحكومة البريطانية في بومباي ان تأمر بتأجيل جمع إيجارات الأراضي من مستغليها حتى عام 1842، وذلك لتشجيعهم على الإقامة الدائمة في عدن، بالإضافة الى ذلك فقد أكد هينز

1- Kour, op. cit, P. 24.
2- Kour, op. cit, P. 24.
3- **علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص142.**
4- Marston, op. cit, P. 82.

علـى ضـرورة إقامـة التحصـينات الدائمـة فـي المدينـة، لإقنـاع التجـار بمسـؤولية الحكومـة البريطانية عن حمايتهم [1] .

فوافقت حكومة بومباي من جانبها على وضـع خطـة لإعـادة بنـاء مدينـة عدن، وإتجهـت الى تمليك أراضـي المدينة لمن يقبلون دفع إيجار الارض للمقيم البريطـاني هنـاك، علـى ان تكون قيمة الايجار معتدلة[2] ، وكذلك وافقت الحكومـة علـى تقديم الأراضـي اللازمـة لكل من يرغب في إقامة مساجد جديدة للمسلمين في عدن[3] . كما إنها اوكلت هينز لينوب عنهـا في تحديد مواقع البنـاء . أما عن إيجار الأراضـي فقد وافقت الحكومة على تأجيلهـا، وتركـت لهينز مسؤولية تحديد نسبها بالشكل الذي يعتقده، مشجعاً للنـاس علـى الإقامـة فـي عدن[4] . وبعد ان حصـل هينز علـى ثقـة الحكومـة، استغل نشـاط المجتمـع التجـاري ومعظـم الأنشـطة الاقتصـادية الأخرى لخدمة الحامية العسكرية البريطانية . وكانت معظم تلك الأنشطـة تـدور حـول تنفيذ المقـاولات، لتزويـد الحاميـة باحتياجاتهـا مـن المؤن والمـواد الغذائيـة والخـدمات الأخرى، مثل إنشـاء التحصـينات العسـكرية ، وكـان هينـز يعطـي تلك المقـاولات لمسـاعديه والأفراد المقربين منه[5] .

مـن كل مـا تقدم يتضـح ان كل الإجـراءات التـي قـام بهـا هينـز لإستقطاب الأهـالي الـى عدن، وتشجيعهم علـى الاستقرار فيهـا، تصـب فـي خدمـة مصـالحه الشخصـية، إضـافة الـى خدمة المصـالح البريطـانية، متجاهلاً مصـالح أهالي المنطقة بتسخيره كل ما فيهـا من مـوارد لتموين الحـامية العسكرية البريطـانية في عدن .

ونظراً لما قام به هينز مـن دور كبيـر فـي خدمـة الحكومـة البريطانيـة قبـل وبعد إحتلال عـدن، قامـت حكومـة الهنـد البريطانيـة بترقيتـه الـى رتبـة كـابتن ((Captain)) فـي شـهر تشرين الأول عام 1841، وجاء هذا التكريم ليشكل حافزاً له على مواصلة نشاطاته لخدمة المصـالح البريطانيـة فـي مينـاء عدن المـتحكم فـي أهـم طريـق للتجـارة الدوليـة عبـر البحـر الأحمر[6] .

1- Kour, op. cit, P. 24.

2- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص215.

3- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص142.

4- من الجدير بالذكر ان جباية الايجارات توقفت ليس لعام 1842 او انما استمرت بالتوقف حتى نهاية حكم هينز لعدن في عام 1854 . للتفاصيل ينظر: Kour, op. cit, P. 25

5- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص18.

6- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص213.

وفي الثاني والعشرين من ايلول 1849 أصدرت سكرتارية حكومة الهند البريطانية مرسوماً أعلنت فيه ان ميناء مستعمرة عدن هو ميناء حر . وأعلنت رفع الرسوم الكمركية التي كانت تفرض على السفن التجارية التي تمر عبر ذلك الميناء . وأكدت الحكومة ان التجارة سوف تتحسن بين الساحل الغربي للهند والبحر الأحمر والأماكن القريبة منها من خلال تردد بواخر جميع الدول القريبة لميناء عدن [1] .

إن هذا المرسوم قد أدى الى إزدياد التبادل التجاري بين عدن والقبائل المجاورة لها، وإنتعاش حالتهم الاقتصادية . الأمر الذي أدى إلى استمرار الهدوء في عدن نتيجة لإستمرار العلاقات الودية بين هينز وشيوخ تلك القبائل .

وقد رفع هينز تقريراً الى ماليت إسكاير((Malet Esquire)) السكرتير الرئيسي في حكومة بومباي في الثامن والعشرين من شباط 1850، أوضح فيه ان الهدوء والسلام يسود منطقة عدن والقبائل المجاورة لها، وأوضح هينز في تقريره أن الطرق المؤدية الى عدن أصبحت آمنة . وبدأ سكان عدن والقرى المجاورة لها يتوافدون اليها بكثرة، حيث تكونت لديهم ثقة بالقوات البريطانية المتواجدة هناك . وأكد هينز أن أرباب العوائل يدخرون أموالهم خلال العام من اجل إنفاقها لشراء المنتوجات الهندية والانكليزية التي كانت متوفرة في المحلات التجارية في عدن، بالإضافة الى شرائهم للأطعمة التي لم يكونوا يألفونها من قبل . كما انه أكد في تقريره ان سكان عدن وكذلك الحامية العسكرية يتمتعون بصحة جيدة[2] .

وهكذا تمكن هينز من خلال أساليبه والملتوية ان يكسب ثقة الحكومة البريطانية بالإضافة الى تمكينه من إخضاع الحامية العسكرية لسلطته، وفي نفس الوقت نجح في كسب ثقة شيوخ القبائل المجاورة لعدن بعد حصولهم على أرباح هائلة نتيجة لفتح الطرق أمامهم للتجارة مع أهالي عدن .

1- [IOR/ P/ sec/ Bom/ 254 [Aden declared a free port of propest Act, 22 September 1849, Records of Yemen, P. 613.
2- [IOR P/ sec/ Bom/ 265 [, rebort from Aden, Haines to Malet, 28 February 1850 , Records of Yemen, P.575.

المبحث الرابع : الموقف الإقليمي والدولي من الإحتلال

كانت مصر ابرز القوى الإقليمية التي تطلعت إلى السيطرة على عدن بعد ان مدت نفوذها الى العديد من الأقطار العربية في عهد حاكمها الطموح محمد علي، لذلك فقد كان احتلال بريطانيا لعدن ضربة كبيرة لمحمد علي الذي بذل جهوداً حثيثة لتدعيم الإدارة المصرية في اليمن والتقرب إلى أهالي البلاد[1] .

غير ان الحكومة البريطانية لم تعترف لمحمد علي بأي حقٍ في عدن بإعتبار انها كانت تابعة لسلطان لحج وعدن المستقل آنذاك[2]، وقام هينز بعد ان نُصِّبَ مقيماً سياسياً للحكومة البريطانية في عدن بإحاطة ابراهيم باشا قائد القوات المصرية في اليمن علماً بإمتلاك البريطانيين لعدن، فكتب اليه رسالة في الخامس والعشرين من شباط عام 1839 قال فيها: **" لي الشرف ان أفيدكم بأن عدن أصبحت ملكاً للحكومة البريطانية منذ التاسع عشر من كانون الثاني 1839 . وقد حالت مشاغل كثيرة دون إفادتكم بهذا النبأ السعيد وأتمنى ان تكونوا متمتعين بكامل الصحة "[3] .**

وبالإضافة إلى تلك الرسالة فقد حذرت بريطانيا محمد علي من الوقوف بوجه مشاريعها التوسعية، فكتب رئيس وزرائها بالمرستون الى محمد علي رسالة طلب فيها سحب جنوده من كل المناطق العربية التي سيطر عليها، التي كانت تابعة للدولة العثمانية، وقد إستجاب محمد علي للمطالب البريطانية ولم يستطع الوقوف بوجه بريطانيا، ولم يتمكن من الدفاع عن عدن، وذلك لانعدام التقارب بينه وبين حاكم صنعاء الإمام الناصر عبد الله بن الحسين بن المهدي، الذي رفض دعوة محمد علي للوقوف بوجه البريطانيين، فقد اتصل الإمام بهينز وقدم له هدايا ثمينة وطلب منه المساعدة البحرية في محاولة إرجاع إقليم تهامة اليمني من الشريف الحسين بن علي بن حيدر الذي خلف إبراهيم باشا بإيعاز من الدولة العثمانية . إلا ان هينز رفض هذا الطلب[4] .

1- عبد الحميد البطريق، المصدر السابق، ص185.
2- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص215.
3- [IOR P/ sec/ Bom/ 110] , letter from Haines to Ibrahim Pasha, 25 Feberuary 1839, Records of Yemen, P. 223.
4- أراد ابراهيم باشا أن يسلم تهامه اليمنية الى حليفه شريف مكه محمد بن عود لكن الحسين بن علي بن حيدر شريف أبو عريش إتصل بقبائل عسير وجهز جيشاً من عشرين الف مقاتل واحتل الحديدة في 22 نيسان عام 1840، بعد انسحاب المصريين من اليمن في شهر حزيران من نفس السنة دخل الشريف الحسين بن علي بن حيدر المخا وأمر بإنزال العلم البريطاني من دار وكيل بريطانيا في المخا . وارسل الشريف الى حكومة بومباي يطلب منها الاسراع في تسليم عدن اليه. وكانت حالة الرعايا البريطانيين قد ازدادت سوءً في تهامه، فقدمت الحكومة البريطانية شكوى الى الخليفة العثماني. وفي آذار عام 1842 ارسل=

واخيراً قررت بريطانيا إنهاء وجود محمد علي عملاً بمصالحها في المنطقة، وإستطاعت ان تأخذ موافقة الدول الأوربية على هذا القرار [1] ، واجبرته تلك الدول وهي كل من روسيا وبروسيا والدولة العثمانية بضغط من بريطانيا على توقع المعاهدة في لندن عام 1840[2] ، وبذلك إستجاب محمد علي لكل قرارات الدول الأوربية، لانه كان على علم بمقدرة بريطانيا العسكرية ، وكان يحاول التقرب اليها لكنه لم يفلح في ذلك لتعارض المصالح البريطانية مع مشاريعه بتكوين إمبراطورية عربية، كما انه لم يستطع الحصول على الدعم الفرنسي لتحقيق مشاريعه، فقد كان يقول : **" إذا تألبت الدول الأوربية علي فإن بوسعها، وهذا ما أعرفه جيداً ان تسحقني وتقضي علي ولكنني لن اسقط إلا بشرف"**[3] .

أما عن موقف الدولة العثمانية التي كانت تدعي بالسيادة الاسمية على البلاد العربية والإسلامية ومنها عدن ، فإنها لم تقف بوجه الاحتلال البريطاني لها، ولم تفعل شيئاً للإحتجاج على البريطانيين عندما إقتطعوا هذا الجزء المهم من البلاد العربية[4] . ويعود السبب في هذا الموقف السلبي من قبل الدولة العثمانية الى ضعف الدولة العثمانية في تلك الفترة، وتطلع الدول الأوربية لإقتسام أملاكها[5] . وكانت بريطانيا التي تدعي المحافظة

=الخليفة مندوبه أشرف بك لعزل الشريف واجباره على تعويض رعايا بريطانيا. للمزيد من التفاصيل ينظر: حمزة علي لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص137.

1- حمزة علي ابراهيم لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص178 .

2- تعهدت الدول الاوربية الاربع (بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا) بالاضافة الى الدولة العثمانية وبموجب هذا المؤتمر حصلت الحق في الدفاع عن وحدة الاراضي العثمانية وسلامتها، وبموجب قرارات هذا المؤتمر ايضاً إلزام محمد علي بإخلاء كافة الاراضي التي سيطر عليها عدا القسم الجنوبي من بلاد الشام (ولاية عكا) الى السلطان ويمنح فقط حكم مصر وراثياً في أسرته مع القسم الجنوبي من بلاد الشام مدى حياته فقط (أي حياة محمد علي) أي معنى ذلك حرمانه من حكم جزيرة العرب وبلاد الشام وكريت وأدنه ويعطي أمراً لقواته البرية والبحرية بالجلاء عن هذه البلاد وان يقبل العرض خلال عشرة ايام من تأريخ ابلاغه إياه . للتفاصيل ينظر: كارل بروكلمان، تأريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1960، ص563؛ علي شاكر علي، المشروع النهوضي الاول، تجربة مصر في النصف الاول من القرن التاسع عشر، مجلة جامعة الموصل، 1998، ص12؛ علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص ؛
Gabriel Enkiri, Ibrahim Pacha 1489- 1898, Caire, 1948, P. 205.

3- جوزيف حجار، اوربا ومصير الشرق العربي (حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية، ترجمة بطرس الحلاق، بيروت، 1976، ص95.

4- فاروق عثمان أباظه، الحكم العثماني لليمن (1872-1918)، ط2، بيروت، 1979، ص38.

5- بدأت مرحلة الضعف في الدولة العثمانية بعد نهاية حكم السلطان سليمان القانوني الذي يعتبر آخر السلاطين الأقوياء في الدولة العثمانية ، فقد إمتاز السلاطين من بعده بالضعف=

على كيان الدولة العثمانية تؤدي دوراً في وصول تلك الدولة الى تلك المرحلة، فقد وقفت الى جانب السلطان عبد المجيد الاول[1] في النزاع القائم بينه وبين محمد علي والي مصر الذي شق عصا الطاعة على السلطان العثماني[2] ، وبهذا الأسلوب استطاعت بريطانيا ان تستميل السلطان عبد المجيد الأول، ويذكر بعض المؤرخين ان السلطان عبد المجيد قد أعطى فرمان لبريطانيا سمح لهم فيه بالسيطرة على عدن، ليستخدمونها مركزاً تجارياً ومخزناً للفحم[3] .

ويبدو أن هذا الموقف من السلطان يأتي لكونه مخدوعاً بوعود بريطانيا بالمحافظة على كيان دولته، وكذلك لوقوفها بوجه محمد علي الذي كان على خلاف مع السلطان ، فقد حاول محمد علي ان يمد نفوذه الى أجزاء كبيرة من الإمبراطورية العثمانية، لذلك ومن خلال ما تقدم يمكن القول ان هذا الموقف من قبل السلطان العثماني من الاحتلال البريطاني لعدن هو نتيجة للضعف الذي كان يسود الدولة العثمانية ، فقد وصفتها الدول الأوربية حينذاك ((بالرجل المريض))[4] الذي يراد إقتسام أملاكه . وبذلك يتضح لنا ان بريطانيا إستغلت الخلافات بين أئمة صنعاء من جهة، والسلطان العثماني ومحمد علي من

= وهو عامل مهم في ضعف الدولة ، بالإضافة الى حروبها المستمرة مع الصفويين إضافة الى حروبهم مع الدول الاوربية . وكانت تلك الفترة تمثل مرحلة قوة بالنسبة الى الدول الاوربية . للمزيد من التفاصيل ينظر: علي محمد الصلابي، المصدر السابق، ص ص303-360.

1- عبد المجيد الاول : تولى الخلافة بعد أخيه السلطان محمود الثاني في الاول من تموز عام 1839، وكان عمره ستة عشر سنة عند توليه الخلافة كانت الحكومة في عهده في غاية الاضطراب . إلا انه سعى الى إصلاح الدولة العثمانية حيث كان متأثراً بالانظمة الاوربية وكانت باكورة اصلاحاته إصداره مرسوم عرف بخط شريف كولخانة، الذي دعا فيه الى المساواة في الحقوق والواجبات بين المسيحيين والمسلمين في الدولة العثمانية . توفي السلطان عب المجيد الاول في الخامس والعشرين من حزيران عام 1861. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد فريد بك، المصدر السابق، ص237- 287؛ علي محمد الصلابي ، المصدر السابق، ص ص407- 425.

2- سعيد شخير سوادي الهاشمي، إتحاد الجنوب العربي 1959-1967، إطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية التربية ، جامعة بغداد، 1999، ص134. للمزيد من التفاصيل ينظر: أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ص325-353.

3- حمزة علي ابراهيم لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص77؛ زاهية قدورة، تأريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1975، ص63.

4- ظهر مصطلح ((الرجل المريض)) للمرة الاولى عندما اطلقه القيصر الروسي نيقولا الاول ((1825-1855)) وذلك خلال محادثاته في بطرسبرغ مع السفير البريطاني هاملتون سيمور (Hamilton Seymour) حيث بين له صراحة بوجود رجلاً مريضاً جداً بين أيدينا ويقصد بذلك الدولة العثمانية لذلك يجب الاتفاق عل تقسيم ممتلكاته دون الحاجة الى استشارته . للتفاصيل ينظر: وليد عبود ومحمود عبد الواحد القيسي، محاولات الاصلاح في الدولة العثمانية والتدخل الاوربي (1808- 1876)، مجلة الاستاذ، العدد 11، كلية التربية، ابن رشد، كانون الثاني، 1998، ص108.

جهة أخرى، كما استغلت إنعدام الموقف الموحد بين كل هؤلاء لتكريس سيطرتها على عدن، وجعلها نقطة للتوسع في أقطار الوطن العربي الأخرى .

أما الدول الأوربية فلم تبد أية معارضة إزاء ما فعله البريطانيون باحتلالهم لعدن بالقوة، وذلك لان تلك الدول لم تكن تقدّر في ذلك الوقت الأهمية الاستراتيجية لتلك المنطقة الهامة من ارض شبه الجزيرة العربية ، ومدى ما يمكن ان يكون لسيطرة البريطانيين عليها من تأثير في مستقبل هذه المنطقة ومصالح الدول الأوربية الأخرى ذاتها(1) .

وهكذا إستطاعت بريطانيا ان تنفذ مخططها في احتلال عدن، لتفوقها العسكري، وكذلك لإدراكها أهمية تلك المنطقة التي تتحكم في أهم طريق بحري بين الشرق والغرب على عكس الدول الأوربية الأخرى .

1- فاروق عثمان، أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص225.

الفصل الثالث

تطور نشاط حركة المقاومة العربية إزاء سياسة الاحتلال البريطاني حتى عام 1854

المبحث الأول : **سياسة بريطانيا في عدن بعد الاحتلال ونهاية حكم هينز عام 1854**

المبحث الثاني : **جهود السلطان محسن بن فضل العبدلي في إستعادة عدن**

المبحث الثالث : **حركة الشريف إسماعيل بن الحسن**

المبحث الرابع : **تقويم نشاط حركة المقاومة العربية في عدن تجاه سياسة الاحتلال البريطاني**

بدأت المقاومة العربية في جنوب الجزيرة العربية للبريطانيين منذ أن إحتلت بريطانيا عدن، واعتبر أبناء اليمن أن أية دولة ليس لها الحق في التنازل عن الأراضي التي كانت تحت سيطرتها، وخاصة الدولة العثمانية التي سيطرت على معظم أجزاء الوطن العربي في تلك الفترة . إذ أن السلطان العثماني الذي كان يعتبر نفسه مسؤولاً عن اليمن كلها، لم يفعل شيئاً عندما تمركز البريطانيون في عدن، حتى لم يعلن إستنكاره لذلك الإحتلال، وكذلك الموقف الدولي ظل دون رد فعل يذكر[1] .

لذلك فإن العرب اليمنيين لم يستكينوا للعدو البريطاني الذي احتل بلادهم، وسيطر على مدينتهم التأريخية عدن، التي تعتبر في الحقيقة ((عين اليمن))[2] ، لأنها أهم منفذ طبيعي لها على بحر العرب والمحيط الهندي ، فضلاً عن تحكمها في طريق البحر الأحمر[3] . بل انهم هبوا عدة مرات محاولين طرد البريطانيين من أراضيهم، حتى أصبحت حركة المقاومة العربية هي الظاهرة المميزة للسنوات الأولى من الاحتلال البريطاني لعدن[4] .

ومن خلال تتبع الحركة الوطنية في جنوب اليمن منذ مطلع العصور الحديثة، تتضح لنا المواقف الإيجابية للشعب اليمني في مواجهة القوى الاستعمارية، التي حاولت ان تبسط سيطرتها على عدن، بدءاً بمحاولات البرتغاليين في مطلع القرن السادس عشر، وإنتهاءً بالاحتلال البريطاني لها في التاسع عشر من كانون الثاني 1839، ولم يفكر الشعب العربي في جنوب اليمن في يوم من الأيام ان يستسلم للإستعمار البريطاني، كما لم تستطع بريطانيا توسيع وجودها العسكري في جنوب اليمن، واكتفت بمعاهدات الحماية مع حكام المحميات التسع المتآخمة لعدن من سلاطين وامراء ومشايخ، لكبح الاستياء الشعبي ضد وجودها، والذي تراكم خلال عشرات السنين في نفوس فلاحي وبدو ومثقفي اليمن الجنوبي[5] .

وشهدت فترة الخمسة عشر عاماً لحكم هينز لعدن مقاومة مسلحة من قبل القبائل المجاورة لها وخصوصاً قبيلتي الفضلي والعبدلي، التي انضم إليها الآلاف من أبناء القبائل العربية الأخرى، إضافة إلى الهجمات الفردية المتكررة لقتل الضباط البريطانيين واختطافهم بما فيهم هينز نفسه[6] .

1- قصي كامل شبيب، المصدر السابق، ص73.
2- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص199.
3- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص54.
4- احمد فخري، المصدر السابق، ص173.
5- فاروق عثمان أباظه، بريطانيا والحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن 1939-1967، القاهرة، 1988، ص53.
6- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن 1839 – 1967، ص19.

المبحث الأول : سياسة بريطانيا في عدن بعد الاحتلال ونهاية حكم هينز عام 1854

حرص البريطانيون بعد إحتلالهم لعدن على تدعيم سيطرتهم على المدينة نفسها في بداية الأمر، متصدين لكل المشكلات التي واجهتهم بكل ما أمكنهم في استخدامهم سياسة المرونة . ثم إتجهوا بعد ذلك الى الإستفادة من وجودهم في عدن لجعلها قاعدة للتوسع والإنطلاق لبسط النفوذ البريطاني في جنوب الجزيرة العربية من جهة، وفي حوض البحر الأحمر ككل من جهة ثانية . وكذلك لإبعاد أي تقرب للقوى الأوربية من البحار الشرقية ، بهدف المحافظة على المصالح البريطانية في بلاد الشرق عموماً والهند خاصةً[1] .

ومن اجل تنفيذ مخطط بريطانيا الاستعماري في منطقة الجنوب اليمني بشكل عام وعدن بشكل خاص، فقد إختارت الحكومة البريطانية الضابط البحري هينز ليكون ممثلاً عنها في عدن وينفذ سياستها الاستعمارية في تلك المنطقة، فأصبح هينز أول مقيم سياسي لبريطانيا في عدن، مكافأة له لما أبداه من جهود متميزة في احتلال بريطانيا لعدن [2] .

إتخذ هينز بعد تعيينه في هذا المنصب من مدينة كريتر ((Crater)) إحدى احياء عدن مقراً لإدارة شؤون المدينة، وكان يساعده في إدارة المدينة الملازم ينكيز ((Jenkins)) ثم جاء بعده الملازم كروتندن ((Cruttenden)) في عام 1840 والاخير هو من رجال البحرية البريطانية . وكان يساعد هينز في إدارة شؤون عدن عدداً من كبار موظفي ((الإدارة السياسية في الهند))، فضلاً عن قاض وقائد للشرطة ورئيس لإدارة ميناء عدن[3].

أما الحامية العسكرية فقد كان يقودها الميجور بيلي ((Major Bailie)) وكان بيلي يخضع لسلطة هينز . وقد إستمر هذا النمط من الادارة نحو نصف قرن تقريباً[4] . ونظراً لما يحمله هينز من قرارات شخصية تمثلت بالحزم واللباقة فقد إستطاع ان يجمع كل خيوط السلطة في عدن بيده . كما إنه استطاع ان يوحد إدارة المدينة ويجعل الجميع يخضعون

1- آمال ابراهيم محمد، الصراع الدولي حول البحر الاحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير منشورة مقدمة الى معهد الدراسات والبحوث العربية، 1987، ص92.

2- Marston, op. cit, P. 69.

3- محمد حسن عوبلي، إغتيال بريطانيا لعدن والجنوب اليمني، منشورات العصر الحديث، بيروت، 1971، ص41.

4- Water field, op. cit, P. 113.

لسلطاته سواءً كانوا من المواطنين العرب او من البريطانيين [1] . كما ان هينز إستعان بالمواطنين العرب من أهالي عدن من ذوي الخبرة في إدارة شؤون المدينة ليساهموا في الحفاظ على الأمن فيها بعد ان أرسلهم الى بومباي حيث تم تدريبهم على نظم الشرطة هناك [2] .

لقد بدأ هينز بعد هذه الإجراءات بتنفيذ تعليمات حكومته وأهمها إتباع سياسة المرونة واللين مع شيوخ القبائل المجاورة لعدن، وخصوصاً قبيلة العبدلي التي يتزعمها السلطان محسن بن فضل العبدلي سلطان لحج وعدن . إذ كانت بريطانيا تدرك اهمية هذه القبيلة التي تصدت للعدوان البريطاني على عدن منذ البداية[3] . وقامت بريطانيا بدفع الرواتب الشهرية او السنوية لشيوخ القبائل المجاورة لعدن ، بالاضافة الى منح الألقاب والهدايا الموسمية لهؤلاء الشيوخ ، كما إنها كانت تشجع إستقلال كل من هؤلاء الشيوخ عن الآخر [4] .

وذلك لأن وحدة الرأي لشيوخ القبائل المجاورة لعدن ستؤدي الى الإضرار بالمصالح البريطانية في عدن، لأن تلك القبائل اذا إتحدت سوف تسبب متاعب كبيرة للحامية البريطانية هناك .

إستخدمت بريطانيا سياستها المعروفة ((فرق تسد)) بين شيوخ القبائل المجاورة لعدن، حيث شجعت هينز على التقرب الى شيوخ القبائل الموالية لبريطانيا وعدم التدخل في حسم النزاعات التي تنشأ بين تلك القبائل[5] . بل ان حكومة بومباي قد حثت هينز على تأجيج تلك النزاعات التي تكاد لا تنتهي بين تلك القبائل ، فقد جاء في كتاب ارسلته حكومة بومباي الى هينز وينص على ما يلي: **" حرض القبيلة الموالية على القبيلة المعادية فلا تحتاج الى قوات بريطانية وانه وان كان هدر الدماء مما يؤسف له، فمثل هذه السياسة تفيد الإنكليز في عدن لأنها توسع الهوة بين القبائل "[6] .**

1- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص207.
2- فاروق عثمان أباظه، المصدر نفسه ، ص207 .
3- آمال ابراهيم ، المصدر السابق، ص95 .
4- وصل الامر في هذا الجانب الى إطلاق مدافع الترحيب والتوديع لمن يصل الى عدن من شيوخ السلطنات المجاورة لها واهمها سلطنة لحج والفضلي والحوشبي والعقربي تعبيراً عن إحترام البريطانيين لهم . للتفاصيل ينظر: قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص33-34؛ Marston, op. cit, P. 81
5- آمال ابراهيم، المصدر السابق، ص95.
6- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص137.

إن الحكومة البريطانية استخدمت تلك السياسة ، لأنها لم تكن مستعدة حينذاك ان تمد هينز بما يحتاج اليه من الجنود والأموال لصد الهجمات التي تتعرض لها الحامية العسكرية في عدن من القبائل المجاورة لها . إذ أدركت بريطانيا ان ما ينفق من أموال لشراء ذمة السلطان محسن وشيوخ القبائل المجاورة لعدن هو اقل بكثير مما ينفق على جيش كبير، وربما يكون عاجزاً في النهاية عن تحقيق أهدافها المرسومة في تلك المنطقة[1]. وهكذا بدأ هينز بتطبيق تلك السياسة من اجل الاقتصاد في النفقات المالية اللازمة لحماية عدن من جهة، وللحيلولة دون قيام إتحاد بين القبائل العربية المجاورة لعدن من جهة أخرى.

بدأ هينز بعد هذا التوجيه من قبل الإدارة البريطانية في الهند بالتقرب من شيوخ القبائل المجاورة لعدن، وقام بتطبيق السياسة المرنة معهم مظهراً صداقته لهم، حيث قام بتقديم الرعاية الطبية للجرحى العرب، وصرف التعويضات المالية لهم عن الخسائر التي تعرضوا لها أثناء إقتحام القوات البريطانية لعدن . ومن الأمثلة على ذلك تقديم الرعاية الطبية للشيخ ((رجب العزيبي)) الذي أصيب بجروح خطيرة أدت الى وفاته في معركة الاحتلال[2] .

ولكي تؤمن الحكومة البريطانية على تحقيق مصالحها الاستعمارية في عدن عملت على عقد العديد من المعاهدات التي أرادت بها ان تضمن ولاء القبائل المجاورة لعدن والتي أسمتها بـ ((المعاهدات الولائية)) او ((معاهدات الصداقة)) كما يحلو لبريطانيا ان تسميها، وشملت هذه المعاهدات معظم القبائل المجاورة لعدن ، وكان الغرض من عقدها مع شيوخ تلك القبائل الاستفادة من موقع عدن الاستراتيجي، بالإضافة الى ان بريطانيا أرادت ان تكسب إحتلالها لعدن صفة شرعية[3] .

كان لهينز دور كبير في إبرام تلك المعاهدات مع شيوخ القبائل المجاورة لعدن، فقد بعث برسالة الى قائد الحامية العسكرية الميجور بيلي في الثامن والعشرين من كانون الثاني 1839 أخبره فيها عن موافقة شيوخ تلك القبائل على عقد معاهدات صداقة مع

1- أمين الريحاني، المصدر السابق، ص350.
2- عندما استشهد الشيخ رجب العزيبي متأثراً بجراحه اثر معركة الاحتلال . منح هينز اسرته مبلغاً قدره مائتي ريال كمعونة عاجلة . كما منح عائلته راتباً سنوياً ، وذكر لإبنه ان والده كان رجلاً شجاعاً . وكانت نتيجة هذا الاجراء ان رجال العزيبي اخذوا يتقربون الى البريطانيين . للتفاصيل ينظر: جاد طه، المصدر السابق، ص138؛ حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن والجزيرة العربية، ص201 .
3- شاكر الجواهري، المصدر السابق، ص20.

بريطانيا حيث قال : **" إن الأخبار الواردة إلي من شيوخ القبائل المجاورة لعدن إيجابية جداً وان جميع شيوخ القبائل قد وافقوا على عقد معاهدات للسلم والصداقة مع البريطانيين "[1] .**

وكانت أولى تلك المعاهدات المعاهدة التي عقدتها بريطانيا مع قبيلة العزيبي العبدلية إحدى عشائر لحج في الحادي والثلاثين من كانون الثاني 1839، وقد تميزت هذه المعاهدة بالبساطة والإيجاز . إذ تضمنت بعد ذكر أسماء ممثلي الطرفين عدة بنود، أهمها الإلتزام بروح الصداقة والسلام بين الطرفين ، والمحافظة على رعايا الطرفين وعدم التعرض لهم بالأذى في حالة وقوع احدهم بالأسر عند الطرف الآخر، كما وافقت بريطانيا على دفع مرتبات شهرية ومنح سنوية لشيخ تلك القبيلة ومساعديه، بالإضافة الى تحملها تكاليف إقامتهم عند زيارتهم لحاكم عدن في كل عام[2] .

وبعد عقد تلك المعاهدة، بدأ السلطان محسن بن فضل العبدلي بالتقرب الى البريطانيين، فعندما قتل أحد الجنود البريطانيين في التاسع من آذار 1839 على يد أحد المقاتلين العرب، ذهب السلطان محسن بنفسه في اليوم التالي الى عدن، وقدم إعتذاره الى السلطات البريطانية لمقتل الجندي، مؤكداً لتلك السلطات حسن نيته مع البريطانيين وقبوله لصداقتهم[3] .

وفي الثامن عشر من حزيران 1839 إتفق السلطان محسن واولاده ((فضل واحمد وعلي وعبد الله)) مع هينز على ان يقيموا معه معاهدة أمن وصداقة، وقد تضمنت تلك المعاهدة عدة بنود ، كان من بينها ان يتعهد السلطان محسن واولاده بحماية الفقراء والضعفاء من قبيلة العبدلي وتأمين الطرق، وان يكون السلطان مسؤولاً عن أي إعتداء على القوات البريطانية في عدن . كما ان السلطان محسن تعهد بعدم القيام بأية اعمال مقاومة من رجال قبيلته ضد الجنود البريطانيين ، وان تكون مصلحة الطرفين واحدة، وان تبقى الأرض الممتدة من خور مكسر الى لحج والى جميع حدود سلطنة العبدلي المعروفة حدودها تكون جميعها تحت سيطرة السلطان، واذا وقع أي إعتداء على حدود السلطان او الحامية العسكرية البريطانية فإن الطرفين يكونان يداً واحدة على المعتدي .

1- [IOR/ 20/ A/ 434; P/ sec/ Bom/ 108 [; Haines to major Bailie, 28 January 1839, in Records of Yemen, vol-2, (1838-1854), P. 181.
2- [IOR P/ sec/ Bom/ 108 [Treaty of friend ship and peace between the English and Hazzabe tribe, 31 January 1839, Records of Yemen, P. 192.
3- جاد طه، المصدر السابق، ص137؛ Play fair, op. cit, P. 164

كما جاء في بنود تلك المعاهدة ايضاً انه اذا دخل احد رعايا السلطان محسن الى عدن فعليه ان يطيع قوانين الحكومة البريطانية التي يمثلها هناك المقيم السياسي هينز، واذا دخل احد الرعايا البريطانيين الى لحج فعليه ان يطيع أحكام السلطان، واخيراً تعهدت الحكومة البريطانية ان تمنح السلطان محسن العبدلي واولاه راتباً مقداره ستة آلاف وخمسمائة ريال سنوياً[1] .

وتعتبر تلك المعاهدة من أهم المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع القبائل المجاورة لعدن وذلك لأن قبيلة العبدلي عارضت بشدة المشروع البريطاني لإحتلال عدن منذ البداية ، بعد ان تم التوقيع على بنود تلك المعاهدة من قبل السلطان محسن واولاده، منحت الحكومة البريطانية السلطان أول راتب وقدره خمسمائة وواحد واربعون ريالاً شهرياً[2] .

وفي الرابع من شباط 1840 وقعت بريطانيا معاهدة اخرى مماثلة مع الشيخ حيدره بن مهدي شيخ قبيلة العقربي ، كما انها عقدت في الثامن عشر من الشهر نفسه معاهدة صداقة أخرى مع السلطان علي بن غالب شيخ قبيلة يافع السفلى[3] .

إن دراسة بنود تلك المعاهدات يتضح لنا انها عبارة عن نسخة واحدة تحتوي على نفس المواد ولها نفس المعنى[4] ، كما إنها كانت تبرم مع شيوخ القبائل المجاورة لعدن ودون الرجوع الى رأي اهالي المنطقة او على الأقل إشعارهم بذلك[5] ، بالإضافة الى انها كانت تقيد من حرية شيوخ القبائل في إدارة شؤون مناطقهم، ومنعتهم من الإتصال بأية دولة اجنبية او عربية، ويتعهد كل واحد من هؤلاء الشيوخ بأن يمتنع عن الدخول في مراسلات او إتفاقيات مع أية دولة دون موافقة الحكومة البريطانية[6] .

كما إن الحكومة البريطانية قد أعطت لنفسها صفة الوجود الفعلي والقوة المحتلة بالنسبة الى مدينة عدن والمناطق المحيطة بها، فضلاً عن الجزر اليمنية التي كانت تتبع للإدارة البريطانية في عدن بشكل مباشر، بالإضافة الى ذلك فإن بريطانيا قد أعطت لنفسها ايضاً

1- للمزيد من التفاصيل عن المعاهدة ينظر:

[IOR/ sec/ Bom/ 23 [Bond of security between sultan of lahij and his sons and the British, 18 June, 1839, in Records of Yemen , P. 361.

2- قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص33.

3- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص.202

4- قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص.34

5- كامل المشاهدي، المصدر السابق، ص.102

6- شاكر الجوهري، المصدر السابق، ص20.

صفة ((الدولة التعاقدية)) بالنسبة الى النواحي المتاخمة لعدن والواقعة في الشطر الجنوبي من اليمن وفقاً للمعاهدات التي عقدتها مع حكام تلك النواحي، والتي أسمتها الحكومة البريطانية ((معاهدات الصداقة والولاء)) التي بدأت بريطانيا بعقدها بعد الاحتلال البريطاني مباشرة[1] .

وعلى أية حال فإن الهدف الرئيسي لبريطانيا من عقد هذه المعاهدات هو المحافظة على الهدوء والاستقرار في عدن والمناطق المحيطة بها، لتتمكن من تحقيق اهدافها الاستراتيجية في تلك المنطقة الحيوية من العالم[2] .

لقد إستطاعت بريطانيا من خلال تلك المعاهدات التي تمت الاشارة اليها ان تستعيد ثقة الأهالي ممن يسكنون الضواحي المحيطة بمدينة عدن، لذلك بدأ سكان تلك المناطق بالانتقال الى عدن ، حتى إزداد عدد سكانها في شهر ايلول عام 1839 الى ألفين وخمس وثمانين نسمة، بعد ان كان عددهم ستمائة نسمة في بداية الاحتلال، بل ان عدد السكان قد إزداد الى حوالي اربعة آلاف وستمائة نسمة في آذار 1840[3] . وقد أشارت هذه الزيادة الكبيرة في عدد السكان الى هدوء الأحوال في عدن، بالإضافة الى إزدهار التجارة بينها وبين المناطق المجاورة لها[4] .

إن النجاح الذي حققته بريطانيا في توفير الهدوء والاستقرار في مدينة عدن والمناطق المجاورة لها يعود الى الجهود الكبيرة التي بذلها هينز لتحقيق الأهداف البريطانية في تلك المنطقة بأقل خسائر ممكنة ، فقد كانت إجراءاته الإدارية متوازية مع قراراته السياسية خلال عمله كمقيم سياسي في عدن، فكان يقضي اغلب اوقاته في تلك المدينة ، وتحيط به مجموعة من الأشخاص الذين جاءوا الى عدن بعد الاحتلال وهم من الفرس والهنود وكذلك من العرب ايضاً، ومن هؤلاء الأشخاص محسن شاه والملا جعفر وهم من الفرس[5] . فقد كان لهؤلاء الأشخاص دور كبير في نجاح هينز في إدارة شؤون عدن،

1- آمال ابراهيم، المصدر السابق، ص128.
2- من الجدير بالذكر ان تلك المعاهدات قد تحولت الى ((معاهدات حماية)) في أعقاب عودة الاتراك العثمانيين الى اليمن في عام 1872، ثم اصبحت بعد ذلك ((معاهدات إستشارة)) على نحو مما حدث مع بريطانيا و ((السلطنة القعيطية)) في حضرموت في الشطر الجنوبي من اليمن في الثالث عشر من آب 1837. للتفاصيل ينظر: صلاح البكري، المصدر السابق، ص217.
3- Play fair, op. cit, P. 164.
4- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص139.
5- على الرغم من ان هؤلاء الاشخاص يلهثون وراء مصالحهم الشخصية وكلهم فاسدون ومرتشون . فضلاً عن حصولهم على الامتيازات والعقود الكبيرة في كل النواحي=

وذلك لأنهم كانوا يزودونه بالكثير من المعلومات السرية الخاصة بنوايا شيوخ القبائل المجاورة لعدن وتوجهاتهم من اجل التنسيق ومحاولة دعم المقاومة التي تشنها القبائل العربية ضد الاحتلال البريطاني لعدن[1] .

كما إستغل هينز اليهود في عدن والمناطق المجاورة لها، ليكونوا عيوناً له على العرب وكان عددهم في عدن ما يقارب المائة وثمانين يهودياً، وكان هينز يعتمد على هؤلاء في الحصول على معلومات دقيقة عن تحركات القبائل المجاورة لعدن[2] ، بالإضافة الى معرفته بكل ما يجري من خلافات بين تلك القبائل، وكان يحصل على المعلومات عن طريق الرسائل التي تصل إليه من خلال إثنين من اليهود المقيمين في عدن، وهما منهاكن ((Menhakain)) و شومادیل ((Shumadiel)) حيث كانوا يتلقون رسائل باللغة العبرية من أقاربهم الذين يعملون لدى شيوخ القبائل، إذ كان هؤلاء اليهود يشرفون على شؤون الشيوخ المالية، وبهذه الطريقة يقوم هؤلاء بنقل كل المعلومات الى هينز نظير مبالغ تافهة تدفعها لهم الحكومة البريطانية ، الأمر الذي جعل هينز على معرفة بنوايا وإهتمامات شيوخ القبائل المجاورة لعدن[3] .

تبين لهينز من خلال مساعديه وجواسيسه من اليهود ان شيوخ القبائل المجاورة لعدن كانوا يبدون إهتماماً كبيراً بموضوعين هما المال والمركز الاجتماعي[4] ، لذلك فقد قام هينز بتوزيع الإعانات المالية على شيوخ القبائل، إضافة الى مظاهر الاحترام المصطنعة التي كان يبديها لهم[5] ، وبهذا الأسلوب حاول هينز ان يحصل على صداقتهم ، كما استطاع شراء ذممهم بمبالغ مالية ربما تقطع عنهم في أي وقت تريده الحكومة البريطانية .

=الاقتصادية. إلا أن الملا جعفر يعد الأبرز بين هؤلاء حيث كان يمسك بحلقه كبيرة من الجواسيس تغطي معظم المنطقة . وكان من كبار المرتشين والمهيمنين على مصائر السكان، ولما تكررت شكاوى الأهالي من تصرفاته قررت حكومة بومباي طرده من وظيفته وتسفيره من عدن . للتفاصيل ينظر: سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص15-16.

1- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لعدن، ص16.

2- جاد طه، المصدر السابق، ص138.

3- فاروق عثمان اباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص208.

4- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص139.

5- Marston, op. cit, P. 81.

ولم يكتفِ هينز بكسب ودّ شيوخ القبائل وانما تمكن ايضاً من إستمالة العديد من رجال الدين الذين كان لهم تأثير كبير على سكان القبائل المحيطة بعدن، وأبرز هؤلاء الرجال هو ((سيد زين علوي)) سادن (خادم) ضريح ولي أسمه عيدروس[1] .

وهكذا تمكنت بريطانيا من توفير الأمن والاستقرار لحاميتها العسكرية، وخصوصاً في الأشهر الأولى من حكمها لعدن ، وكان لهينز دور كبير في ذلك لأنه إلتزم بتعليمات حكومته، وقام بتطبيق ((السياسة المرنة)) مع شيوخ القبائل المجاورة لعدن ، كما ان المعاهدات التي أبرمها معهم، كانت لها دور كبير في خدمة المصالح البريطانية ، ذلك لأن شيوخ القبائل تعهدوا بموجب تلك المعاهدات بعدم القيام بأية أعمال مقاومة ضد الجنود البريطانيين في عدن، بالإضافة الى تعهدهم بحماية الطرق المؤدية الى عدن ، وبالمقابل استحصل هينز موافقة الحكومة البريطانية بدفع رواتب شهرية لقاء تلك المواقف من شيوخ القبائل اليمنية .

كان المستفيد الوحيد من عقد تلك المعاهدات بالدرجة الأولى هي الحكومة البريطانية،لأنها وجدت ان النفقات اللازمة لتعزيز الحامية العسكرية في عدن، هي أكثر تكلفة مما يمنح من رواتب وهدايا لشيوخ القبائل المجاورة بهدف شراء الذمم من اجل إستمرار سيطرتها على عدن دون خسائر في الأرواح والأموال من الحكومة البريطانية .

على الرغم من الخدمات الكبيرة التي قدمها هينز للحكومة البريطانية أثناء عمله كمقيم سياسي في عدن مدة خمسة عشر عاماً . فإن نهايته كانت تتفق مع الأساليب الخبيثة التي إتبعها مع أهالي عدن والمناطق المجاورة لها، أثناء توليه لمنصبه كمقيم سياسي هناك، فقد أدانته الحكومة البريطانية واتهمته بالتسبب في حدوث عجز مالي خطير في ميزانية عدن[2] ، إذ ان هينز كان قد أسس إدارة للكمارك في عدن تحت إشراف موظف عربي يعاونه موظف يهودي، وبعد إزدياد حجم العمل في الكمارك بسبب تزايد العمليات التجارية، عين هينز عدداً من الهنود المعروفين بإسم الهنود الإنكليز((Anglo Indian)) وقد ظهر فيما بعد ان هؤلاء الموظفين قد تلاعبوا بالسجلات المالية للكمارك في عدن،

1- من الجدير بالذكر ان المسجد الوحيد الذي ظل بحالة جيدة عند دخول البريطانيين الى عدن هو المسجد الذي يبنى بجانب قبر الشيخ عيدروس . وكان الضريح قد نال دعم زوار المدينة وأحفاد الشيخ الذين كانوا هم سادته والمستفدين من الهدايا المقدمة له . للتفاصيل ينظر:
Kour, op. cit, P. 16; لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، علي ابراهيم حمزة ص182

2- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص251.

لذلك قرر هينز طردهم من العمل بعد ان اتهمهم بالاختلاس، حيث كان يشعر بوجود تلاعب من قبلهم في الشؤون المالية، مما جعله يطلب من حكومة الهند البريطانية ان ترسل له عدداً من الخبراء لإدارة الشؤون المالية لكمارك عدن[1] . غير ان الحكومة لم تستجب لمطالبه في نفس الوقت، مما زاد من تفاقم المشكلة وحدوث مزيداً من الاختلاسات في الشؤون المالية للكمارك[2] .

على إن حكومة الهند أرسلت بعثة في نهاية سنة 1853 ضمت عدداً من المحاسبين والخبراء في تفتيش الدفاتر المالية ومراجعتها ، ووجدت هذه البعثة في ميزانية عدن عجزاً كبيراً[3] . وقد ترتب على ذلك قيام الحكومة البريطانية بإستدعاء الكابتن هينز ومساعده الأول الملازم كروتندن احد رجال البحرية الهندية البريطانية، للتحقيق معهما في تهمة الاختلاس اثناء محاكمتهما في بومباي ، إلا ان المحكمة رأت ان هينز كان هو المتسبب في حدوث العجز الذي أصاب مالية عدن، ولهذا قضت المحكمة عليه بسداده لخزانة الحكومة[4] .

إلا ان هينز امتنع عن تسديد المبلغ، لذلك فقد أصدرت المحكمة قراراً بحبسه في سجن يدعى ((سجن الدين)) في بومباي ، حيث بقي في السجن ست سنوات ، ولم يخرج منه إلا بعد ان فقد بصره واعتلت صحته، وتوفي بعد ستة اشهر من اطلاق سراحه[5] ، وكان عمره ثمانية وخمسين عاماً[6] . وبعد وفاته اقامت له حكومة الهند البريطانية ضريحاً في مقبرة ((كوبالا)) في بومباي[7] .

وبهذه النهاية البائسة انتهت حياة هينز، الذي قدم لبريطانيا اجل الخدمات في تطلعاتها الاستعمارية فيما وراء البحار بوجه عام ، وفي منطقة عدن والبحر الاحمر بشكل خاص[8].

1- المصدر نفسه، ص252 .
2- فاروق عثمان أباظه، المصدر نفسه ، ص252 .
3- وجدت اللجنة ان في ميزانية عدن عجزاً كبيراً قدر بثمان وعشرين الف باون . لذلك استدعت الحكومة هينز للمحاكمة . للتفاصيل ينظر: Marston, op. cit, P. 163
4- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص314.
5- تم اطلاق سراح هينز من السجن من قبل الحاكم البريطاني الجديد ((السير جورج كليرك Sir George Clerk)) في مطلع عام 1860 بعد ان إعتلت صحته . غير انه توفي في السادس عشر من حزيران عام 1860. للتفاصيل ينظر: Marston, op. cit, P. 163
6- محمد حسن عوبلي، المصدر السابق، ص150.
7- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص314.
8- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص252.

لقد أثنى البعض من الكتاب الانكليز على هينز ، فقد ذكر مارستون ((Marston)) في كتابه ان هينز حقق المعجزات في الفترة التي كان يعمل بها في عدن، وانه جعل من عدن مدينة تجارية ممتازة في منطقة البحر الأحمر، وانه قد أحيا التجارة فيها وأعادها الى سابق مجدها[1] .

كما اصدر جوردن ووتر فيلد ((Jordan Water Field)) كتاباً عن حياة هينز عبر فيه عن اعمق معاني التقدير والاحترام لضابط البحرية البريطانية هينز، الذي ضم عدن الى ممتلكات التاج البريطاني، وهذه الخدمة لن ينساها الشعب البريطاني[2] .

ومهما وجه لهينز من ثناء وتقدير، فإن تقييمنا له لا يتعدى كونه شخصاً متسلطاً إتبع اساليباً ملتوية في سياسته مع أهالي عدن . وكان أداة لتنفيذ سياسة بريطانيا الاستعمارية في منطقة البحر الأحمر . كما انه قدم خدمة كبيرة لبريطانيا في تكريس سيطرتها على عدن، لجعلها قاعدة للتوسع في المناطق الأخرى من شبه الجزيرة العربية .

إن سياسة بريطانيا بعد عزل هينز من منصبه، لم تتغير كثيراً عما كانت عليه . إذ ان الأسس التي وضعها لتوجيه السياسة البريطانية تجاه عدن والمناطق المحيطة بها، ايدها وسار عليها كل من تولوا السلطة من بعده أمثال كلارك ((Clarke)) في عام 1854 و أوترام ((Outram)) في نفس العام، وقد عمل الأول كمقيم سياسي بالنيابة لفترة قصيرة[3] . بينما عمل الثاني كمقيم سياسي هناك حتى تولى بريجادير وليم كوجلان ((Brigadier William Coghah)) هذا المنصب للفترة الممتدة ما بين عامي 1854و 1863[4] .

ومهما يكن من أمر هينز والذين أعقبوه في إدارة عدن وضواحيها والسياسة التي إتبعوها والتي كانت تتصف بالمرونة مما قادها الى النجاح في إحكام السيطرة على تلك المناطق حينذاك، فإن الذي يؤشر في هذا الجانب ان البريطانيين لم يستغرقوا وقتاً طويلاً ليتمكنوا من السيطرة على عدن والمناطق المحيطة بها، نظراً للحالة الفوضوية في تلك المناطق ، فقد وجدوا امامهم بلداً يفتقر الى الوحدة السياسية، فقد كان مجزءاً الى عدد كبير من المناطق المستقلة بعضها عن البعض الآخر . وكان يترأس هذه المناطق سلاطين

1- Marston, op. cit, P. 163.

2- نقلاُ عن فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص253.

3- Marston, op. cit, P. 207.

4- فاروق عثمان أباظه، المصدر نفسه ، ص254.

وشيوخ لا يملكون سوى سلطة شكلية . إذ لم تكن سلطة أحدهم تتجاوز حدود سلطنته، وكانت القبائل المجاورة لعدن مشغولة بصورة دائمية بالحروب فيما بينها حول قضايا قبلية أهمها الثارات فيما بينهم والمراعي وسرقة المواشي[1] .

وكان شيوخ القبائل هم المحرضين على إستمرار الصراعات بين تلك القبائل ، إذ كان هؤلاء يفتقرون الى الوعي ولا يدركون الأخطار التي ستلحق بهم جراء الوجود البريطاني، الذي شكل دون أدنى شك عقبة في وجه التطور العام للمنطقة اليمنية وكان عائقاً بوجه تكوين وحدة وطنية لكل المناطق اليمنية تحت قيادة حكومة مركزية قوية ، تسيطر على جميع أنحاء البلاد، وتقف أمام الغزو الخارجي .

وعلى أية حال فقد بقيت عدن والمناطق المحيطة بها تعاني من التخلف في جميع المجالات، الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، لأنها كانت غير قادرة على خلق مؤسسات تلبي متطلبات السكان، وتسد احتياجاتهم، لذلك كانت خدمات التعليم والصحة رديئة جداً. الأمر الذي أدى الى هيمنة بريطانيا المطلقة على عدن، التي أصبحت قاعدة للتوسع في الأقطار العربية الأخرى ، ولم تشهد تلك المناطق أي تطور في أوضاعها، ولم تتغير تركيبتها الاجتماعية طيلة فترة الاحتلال البريطاني لعدن، الذي إمتد حتى عام 1967[2] .

1- محمد عمر الحبشي، المصدر السابق، ص13- 14.
2- المصدر نفسه، ص14.

المبحث الثاني : جهود السلطان محسن بن فضل العبدلي في إستعادة عدن

توقع البريطانيون بعد عقدهم لمعاهدات الولاء والصداقة مع زعماء القبائل المجاورة لعدن أن تهدأ الأحوال فيها ، خصوصاً المعاهدة المهمة التي عقدتها بريطانيا مع السلطان محسن سلطان لحج وعدن وأولاده، حيث تعهد السلطان محسن بموجب المعاهدة بالمحافظة على الهدوء والاستقرار في عدن، وان يحافظ على صداقته مع البريطانيين مقابل ذلك تعهدت بريطانيا بمنحة راتباً قدره ستة آلاف وخمسمائة ريال سنوياً[1] .

إلا ان السلطان محسن قد تجاهل إرتباطاته المذكورة مع بريطانيا[2] . وإزداد حنقاً على البريطانيين نتيجة لما أبداه هينز من تدبير مؤامرة ضده من جهة[3] ، إضافة إلى زيادة إمكانية عدن وبروز أهميتها التجارية من جهة أخرى[4] . دفعت تلك الحوادث السلطان محسن الى القيام بعدة محاولات لإستعادة عدن من قبضة البريطانيين ، فقد اتصل مع احمد بن عبد الله الفضلي[5] سلطان مقاطعة ((أبين))[6] ، واتفق معه على مهاجمة الحامية العسكرية البريطانية في عدن، وجهز الاثنان خمسة آلاف مقاتل وبدأوا بمهاجمة المراكز البريطانية في الحادي عشر من تشرين الثاني 1839، فدارت رحى معركة غير متكافئة في الساعة الرابعة من فجر ذلك اليوم، إضطر بعدها المهاجمون من القبيلتين إلى التراجع، وحملت جمالهم الكثير من الشهداء والجرحى ويقدر عددهم بأكثر من مائتي رجل[7] .

وهكذا لم يكتب لهذه المحاولة النجاح ومني المقاتلون العرب من القبيلتين بخسائر كبيرة في الأرواح، إضافة الى قيام البريطانيين بمحاصرة ساحل الفضلي وضربه بمدفعية السفن البريطانية، كما ان البريطانيين قد تنصلوا ايضاً من ارتباطهم مع السلطان محسن بن فضل

1- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص234؛ علي خضير عباس، المصدر السابق، ص43.
2- جاد طه، المصدر السابق، ص136.
3- إكتشف السلطان محسن بن فضل مؤامرة اعدها الكابتن هينز مع بعض أقارب السلطان محسن للإطاحة به وهم ولده احمد ومستشاره حسن عبد الله الخطيب وقريبه السيد محمد حسين . للتفاصيل ينظر:
Gavin, op. cit, P. 164
4- صباح مهدي رميض، المصدر السابق، ص30.
5- جاد طه، المصدر السابق، ص136.
6- تقع مقاطعة ((أبين)) في الجهة الغربية من عدن وتسكنها قبيلة الفضلي، التي يشتهر أهاليها بزراعة الحبوب كالحنطة والشعير ويعتمدون في ري اراضيهم على مياه الامطار وتمتاز اراضي هذه المنطقة بخصوبتها . للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الله احمد الثور، المصدر السابق، ص484 – 485.
7- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص235؛ سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص19- 20.

العبدلي سلطان لحج وعدن، واحمد بن عبد الله سلطان الفضلي واوقفوا صرف المرتبات التي كانت تعطى لكل منهما[1] .

كما ان الأسطول البريطاني قد فرض حصاراً بحرياً على طول ساحل منطقة أبين، ومنع السفن التجارية من دخول ميناء شقرة التابع لسلطنة الفضلي ، وكان ذلك الإجراء بمثابة عقوبات أقرتها ضد السلطان الفضلي بسبب تحالفه مع سلطان لحج لمهاجمة الحامية العسكرية البريطانية في عدن[2] .

لم تضعف تلك الإجراءات البريطانية القاسية من عزم السلطان محسن العبدلي وحليفه السلطان احمد الفضلي، فقد وضعوا في بداية آذار عام 1840 كلاً على إنفراد خطة لإغتيال هينز نفسه عن طريق دعوته لحضور مؤتمر مزيف هدفه الظاهري عقد معاهدة سلام دائمية مع البريطانيين ، وكان يرافق هينز مساعده الهندي مولى جعفر . إلا إن هينز قد علم بنواياهم بإعداد العدة لقتله مع مساعده الهندي خارج مدينة كريتر، التي يقيم بها المقيم السياسي البريطاني هينز[3] . وقد استطاع هينز إحباط تلك الخطط من خلال معرفته معرفته بكل تحركات القبائل اليمنية المحيطة بعدن عن طريق جواسيسه العرب المقيمين في لحج ومنهم عبد الله عاطف وسيد حسين[4] .

وعلى أية حال فإن السلطان محسن العبدلي لم يتأثر بفشل تلك الخطط واستجمع قواه وعاود الكرة من جديد للمرة الثانية في الحادي والعشرين من أيار عام 1840، وهاجم القوات البريطانية في عدن[5] بقوة تتراوح ما بين أربعة الى خمسة آلاف مقاتل ، وقام السلطان احمد بن عبد الله الفضلي من جانبه بعرقلة مرور القوافل المؤدية الى عدن، كما أعلن إنه سيقود حرباً دينية ضد البريطانيين[6] .

ومما شجع القبائل العربية على هذا التحرك انه قد أشيع بين تلك القبائل ان بريطانيا تقود حرباً ضد مصر لتقليص نفوذ محمد علي في الجزيرة العربية إستجابة منها لرغبة السلطان عبد المجيد الأول، الذي تقرب من البريطانيين، وطلب منهم العون ضد محمد

1- Marston, op. cit, P. 84.
2- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص203.
3- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص20.
4- المصدر نفسه، ص21.
5- صباح مهدي رميض، المصدر السابق، ص31.
6- Marston, op. cit, P. 86.

علي لإستعادة مصر وبلاد الشام من سيطرته، وإرجاعها الى حظيرة الدولة العثمانية[1] ، مما جعلهم يعتقدون ان البريطانيين سوف يشغلون عن مشاكلهم في اليمن ، مما يتيح الفرصة للعرب لتحقيق النصر[2] . كما ظن رجال القبائل خطأً انه من غير الممكن للحامية البريطانية في عدن ان تحصل على أية تعزيزات جديدة في تلك الفترة قبيل مجيء فصل الرياح، ولم يكونوا على علم بالإمكانيات الكبيرة للسفن الحربية البريطانية التي تعمل بقوة دفع البخار مما يجعلها قادرة على الوصول الى عدن في جميع فصول السنة[3] .

وعلى العكس ما توقع السلطان محسن ورجاله فقد تمكن البريطانيون من صد الهجوم ، مما اضطر العرب الى التراجع، بعد ان تركوا خلفهم الكثير من الشهداء والجرحى[4] وكان وكان سبب الإخفاق قيام بعض الجواسيس العرب بنقل أخبار استعدادات القبائل لتحرير عدن، الى جانب ذلك كانت عمليات التجسس التي كان يقوم بها اليهود في لحج من اهم العوامل التي ساعدت البريطانيين على صد ذلك الهجوم، وإلحاق ابلغ الأضرار بقوات السلطان محسن، كما ان اليهود في لحج كانوا يتقربون الى شيوخ القبائل المجاورة لعدن، ونقلوا الى هينز ما يدور من استعدادات وخطط للقبائل العربية المناوئة للقوات البريطانية عن طريق الرسائل التي تكتب باللغة العبرية، ثم تترجم الى اللغة العربية، وتصل إلى المقيم السياسي هينز عن طريق الشيخ حسن الخطيب[5] .

إن وصول المعلومات التي تتعلق بإستعدادات السلطان محسن في الهجومين السابقين إلى البريطانيين في عدن عن طريق حسن الخطيب، أدى الى تأثره كثيراً بالدور الذي قام به وكيله السابق الشيخ حسن الخطيب، لذلك قرر السلطان محسن الانتقام منه بإصداره امراً بقتله ونهب بيته وبيوت أقربائه التي بلغت ستة عشر بيتاً[6] . بالإضافة الى ذلك، فقد علم السلطان محسن عن طريق أحد اتباعه بأن اليهود في لحج كانوا يقومون بأعمال التجسس لصالح بريطانيا مقابل مبالغ مالية كانوا يتقاضونها من المقيم السياسي البريطاني

1- I bid, P. 86.
2- Marston, op. cit, P. 86.
3- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص236.
4- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص203- 204 .
5- كانت الادارة البريطانية في عدن قد عينت الشيخ حسن الخطيب وكيلاً لها في لحج، وكان الشيخ حسن الخطيب من المقربين الى السلطان محسن، وهو احد الموقعين على المعاهدة الاولى بين الحكومة البريطانية والسلطان محسن. للتفاصيل ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص203.
6- Play fair, op. cit, P. 165.

في عدن، وقد استاء السلطان من تلك الأعمال وأمر بنهب جميع بيوت اليهود في لحج وعدن[1] .

وقد إعترف هينز بأن اليهود قد أبدوا له مساعدة فعالة في التجسس على القبائل العربية التي كانت تدعم المقاومة المسلحة ومعرفة نواياهم منذ بداية الاحتلال ، فيقول : **" إن احسن من ينقلون الأنباء إلينا هم اليهود، وقد وظفتهم معي سراً وخصوصاً اليهود المقيمين في عدن، وهم يعملون في خدمة الحكومة البريطانية وقد أعطوني معلومات تضم حقائق هامة، لذلك قمت باستغلال فرصة وجودهم في أماكن متفرقة في صنعاء ولحج وتعز والمناطق المجاورة لعدن . وقد كافأتهم بمبالغ تافهة، ولدي ايضاً بعض العملاء من العرب إلا إنني لا أثق في تقاريرهم لأنهم يميلون الى المبالغة، أما اليهود الذين يعملون معي منذ احتلالنا لعدن، هم بصفة عامة كاتبوا الحسابات وصيارفة الشيوخ العرب ، وبذلك أمكنهم الإدلاء بمعلومات صحيحة "[2] .**

وكانوا على إتصال يومي بشيوخ القبائل العربية المجاورة لعدن، ولديهم معرفة دقيقة بأمورهم المالية ونواحي صرفها، خصوصاً تلك الأموال التي كانت تنفق على الاستعدادات للهجوم على البريطانيين في عدن .

ومما يؤسف له ان عامل الخيانة بين العرب من أمثال عبد الله عاطف وحسن الخطيب قد أضعفت هجمات القبائل العربية على الحامية البريطانية في عدن، وقلل من تأثيرها على الوجود البريطاني هناك ، لا سيما وان عنصر المفاجأة هو أهم مبادئ الحرب، وإذا ما استخدم في الهجوم، فإن تأثيره يكون فعالاً على الطرف المقابل[3] .

وعندما فشلت المحاولات التي قام بها السلطان محسن العبدلي وحليفه السلطان احمد الفضلي في تحقيق غايتهم، وهي طرد البريطانيين من عدن، استاء السلطان محسن من الموقف السلبي الذي وقفته بعض القبائل اليمنية المجاورة لعدن ومنها قبيلة العقربي ، فقد رفض رجال تلك القبيلة أن يشتركوا مع السلطان محسن وحليفه السلطان احمد بن عبد الله الفضلي في مهاجمة الحامية العسكرية البريطانية في عدن[4] . ولهذا فقد قام السلطان

1- جاد طه، المصدر السابق، ص138.
2- جاد طه، المصدر نفسه، ص138 .
3- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص21.
4- لم تشارك العديد من القبائل اليمنية المجاورة لعدن في الهجمات التي يشنها السلطان محسن على البريطانيين ومنها قبيلة العقربي التي كانت على خلاف مع قبيلة العبدلي، إضافة الى ذلك فإن المكسب المادي الكبير الذي حصلت عليه تلك القبائل نتيجة لتبادل التجارة مع=

محسن العبدلي وحليفه بمهاجمة مشيخة العقارب وحاصرت قواتها منطقة ((بير احمد)) التي يسكنها أفراد تلك القبيلة، وألحقوا بهم خسائر فادحة[1] ، إلا انهم لم يدخلوا المنطقة وبقوا على حدود تلك القبيلة[2] .

لقد أثارت محاولات السلطان محسن العبدلي لإستعادة عدن من البريطانيين حفيظة هينز، وعدَّ تلك المحاولات إهانة للحكومة البريطانية، وتستلزم منه القيام بفعل مباشر ضد السلطان، ففرض عقوبة على السلطان محسن بغلق باب عدن أمام المؤن والبضائع التي تصل إليها من لحج ، والحصول على البضائع من مصادر أخرى كالساحل الأفريقي والساحل الصومالي المواجه لمنطقة أبين[3] . وكان هينز يقصد من ذلك الإجراء إيقاع الخسائر المادية بسلطان لحج[4] . وبالإضافة إلى ذلك فقد قدم هينز طلباً إلى الحكومة البريطانية في بومباي لإرسال حملة عسكرية لتعزيز الحامية العسكرية في عدن، ولشن الحرب على القبائل اليمنية المجاورة لعدن، وخاصة قبيلة الفضلي، التي حالفت العبادله وأغلق سلطانها الطرق المؤدية الى عدن من بلاده[5] . غير ان حكومة بومباي رفضت الطلب لما تكلفه هذه الحملة من نفقات كبيرة ، إضافة الى إنشغال القوات البريطانية في الهند لدرجة كبيرة في حملة أفغانستان[6] . وأصدرت الحكومة أوامرها الى هينز بتحديد نشاطاته ضمن عدن، وعدم القيام بأية أعمال هجومية ضد القبائل العربية المجاورة لعدن دون إذن منها، لذلك تأجل الموضوع بسبب صعوبة توفير تلك القوة . وعندما وصلت أخبار ذلك الطلب الى الحاكم العام، جرت مناقشات حاسمة بين حكومة بومباي والحكومة العليا، إستهدفت خلالها الحاكم العام الرأي الذي أكد عليه هينز بضرورة إرسال الحملة ضد قبيلة العبدلي في لحج، واقترح ان يكون موعد الحملة في كانون الأول 1840، لكن

=البريطانيين في عدن قد جعل الكثير منهم لا يتعاطفون مع السلطان محسن في مقاومته للبريطانيين . للتفاصيل ينظر: فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص238-239.

1- Marston, op. it, P. 89

2- أريك ماكرو، المصدر السابق، ص72؛ جاد طه، المصدر السابق، ص138.

3- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص204.

4- صباح مهدي رميض، المصدر السابق، ص32.

5- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص144.

6- في غمرة الصراع الداخلي على السلطة في افغانستان عام 1838 بين الشاه المخلوع شجاع حليف البريطانيين وبين دوست محمد خان، إزدادت مخاوف الحكومة البريطانية في الهند من إنتشار النفوذ الروسي في افغانستان، فإندفعت بقوة للتدخل ودعم موقف الشاه شجاع . وقاد هذا التدخل الى الحرب البريطانية الافغانية 1839- 1843 التي إنتهت بفشل البريطانيين في تحقيق اهدافهم بعد اربعة سنوات من الاحتلال . للمزيد من التفاصيل ينظر: جمال هاشم احمد ذويب، سياسة بريطانيا تجاه افغانستان 1907- 1929، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1994، ص29- 36.

حكومة بومباي على الرغم مما تملكه من ثروات ورجال واموال، فإنها رأت انه من المستحيل عليها تجهيز قوة ملائمة بمثل ما اقترحه هينز، فلم تشجع تلك الفكرة، ورفضتها الحكومة البريطانية في الهند في التاسع عشر من تشرين الأول 1840[1] .

على الرغم من الإجراءات التي قام بها هينز ضد السلطان محسن، لإضعافه من الناحيتين العسكرية والاقتصادية ، وكذلك عدم إستجابة العديد من القبائل العربية المجاورة لعدن، لمساعدة السلطان محسن في الهجمات التي قادها ضد الحامية العسكرية البريطانية في عدن . لم يكتفِ شيوخ تلك القبائل بهذا الموقف المتخاذل، بل ان بعضهم اظهروا تقارباً مع هينز[2] ، وهذه المواقف لم تمنع السلطان من استمراره في شن هجماته على القوات البريطانية بهدف استعادة عدن من قبضة البريطانيين رغم بلوغه سن الشيخوخة[3] .

وفي الخامس من تموز عام 1841 قام السلطان محسن ورجال قبيلته بمحاولة ثالثة لإستعادة عدن، بعد ان تحالف معه السلطان احمد بن عبد الله الفضلي، وجهزا خمسة آلاف مقاتل، وهاجموا سور عدن، غير انهم عندما إقتربوا من الخندق عند أسوار عدن، فاجأتهم النيران المركزة من مدفعية إحدى السفن البريطانية الراسية في خليج عدن، فإضطربت صفوف رجال السلطان المهاجمين وإنسحبوا تاركين وراءهم ثلاثمائة بين شهيد وجريح[4]. وجريح[4]. وبعد إنسحاب السلطان محسن ورجاله، تجمعوا في منطقة ((بير احمد)) في شمال ((خور مكسر))، وأقاموا حصناً أطلقوا عليه ((نوبة الشيخ مهدي))، واتخذوه مركزاً للإغارة على قوافل المؤن المتجهة من المناطق الداخلية في الشمال إلى رأس عدن، وكان البريطانيون في الجنوب[5] .

وعلى أية حال فإن البريطانيين رأوا حينذاك ضرورة إزاحة السلطان محسن ورجاله عن هذا الموقع، وتدمير الحصن الذي أقاموه هناك، فقاموا بتجهيز قوة قوامها ثلاثمائة جندي بريطاني، يرافقهم مائتان من المقاتلين الهنود الذين جندهم البريطانيون ، كما صاحبتهم ايضاً بطارية مدفعية، كان يقودها الكولونيل بينيكويك (Colonel Pennycuick)، لإنجاز هذه المهمة في اليوم الحادي عشر من تشرين

1- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص150.
2- صباح مهدي رميض، المصدر السابق، ص32.
3- أريك ماكرو، المصدر السابق، ص73؛ احمد بن فضل العبدلي، المصدر السابق، ص148.
4- فاروق عثمان أباظه، عدن السياسة البريطانية، ص239؛ جاد طه، المصدر السابق، ص139.
5- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص207.

الثاني 1841[1] . وقد تمكنت هذه القوة من تدمير نوبة الشيخ مهدي، ثم زحفت هذه القوة الى منطقة الشيخ ((عثمان))[2] ، ودمرت قلعتها . وفي نفس الوقت الذي حدثت فيه تلك العمليات الحربية البرية، فإن سفن الأسطول البريطاني كانت تقوم بضرب ساحل قبائل الفضلي بقذائف المدفعية من خلال السفن الراسية في عرض البحر[3] ، وكان ذلك إنتقاماً للقوات البريطانية من قبائل الفضلي، لمساندتهم للعبادلة في هجماتهم المتكررة ضد القوات العسكرية البريطانية في عدن .

لقد أثرت تلك العمليات الحربية البريطانية، التي إتسمت بطابع الانتقام في إضعاف الروح المعنوية لدى القبائل المحيطة بعدن، خاصة وان إمكانات البريطانيين العسكرية كانت متفوقة الى حد كبير على إمكانات القبائل العربية المحيطة بعدن في ذلك الحين . وقد بدا ذلك الأمر واضحاً عندما طلب السلطان احمد بن عبد الله الفضلي من البريطانيين في عدن العفو عن الأعمال التي قام بها ضدهم، وتعهد بالتزام السلوك الودي معهم في المستقبل[4] . وقد حدث ذلك أثناء الزيارة التي قام بها السلطان الفضلي الى عدن، برفقة السلطان محسن إبن فضل العبدلي، والتي تحدد موعدها في الثاني من كانون الأول 1841. غير ان السلطان العبدلي سبق الفضلي في الوصول الى عدن، وأثناء تلك الزيارة دار حوار بين السلطان محسن وهينز حول ضرورة إعتذار السلطان للبريطانيين عما بدر منه إزائهم، وان يترك اثنين من أبنائه رهينة، لتأكيد حسن نواياه في المصالحة مع البريطانيين، وعدم عودته في شن الهجمات على القوات البريطانية، كما طلب هينز من السلطان محسن في ذلك اللقاء ان يعيد الأموال الخاصة بعائلة حسن الخطيب وكيل البريطانيين السابق في منطقة لحج، التي تمت مصادرتها بأمر من السلطان محسن، كما طالب هينز السلطان بإرجاع كل الغنائم التي إستحوذ عليها أثناء هجماته على القوات البريطانية في عدن[5] .

ويبدو ان السلطان محسن قد فكر في مهادنة البريطانيين والتقرب منهم، بعد ان يأس من إستعادة عدن من قبضتهم، نتيجة لفشل محاولاته المتكررة[6] ، بالإضافة الى تخلي

1- جاد طه، المصدر السابق، ص140.
2- تقع منطقة الشيخ عثمان على بعد عشرة اميال شمالي عدن، ويصل بوادي خور مكسر بين عدن ومدينة الشيخ عثمان . وقد اشتهرت تلك المنطقة بصناعات مختلفة منها صناعة الملابس والاواني . للمزيد من التفاصيل ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص250.
3- جاد طه، المصدر السابق، ص140.
4- Play fair, op. cit, P. 166- 167.
5- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص240؛ Marston, op. cit, P. 93
6- صباح مهدي رميض، المصدر السابق، ص33.

سلاطين القبائل المجاورة لعدن وخاصة قبيلة الفضلي عن السلطان محسن، نتيجة للخلافات المستمرة بين القبيلتين ، بالإضافة الى الحصار الذي فرضه البريطانيون على مدينة شقرة الفضلية، الأمر الذي أدى الى إيقاف عمليات صيد الأسماك وتجارة التمور التي تعد الغذاء المهم للقبيلة عند نفاذ المحاصيل الزراعية الأخرى[1] . كما تخاذل عن نصرته ايضاً سلطان قبيلة الحواشب[2] ، الذي أغرته كثيراً التجارة المربحة مع عدن، فضلاً عن خلافات السلطان العبدلي المستمرة مع الإمام الزيدي محمد بن المتوكل احمد (1840-1843م) حاكم صنعاء[3] ، الذي اعتبر العبادلة مسؤولين عن تحول تجارة البن عن ميناء مخا إلى ميناء عدن[4] .

وبذلك فإن السلطان محسن العبدلي فشل في تكوين تحالف من القبائل اليمنية لمناوأة البريطانيين في عدن .

وعندما أحس هينز بفشل جهود السلطان محسن في تكوين تحالف ضد القوات العسكرية البريطانية، طلب من حكومته في شباط 1842 أن يمنح شيوخ القبائل المجاورة لعدن بإستثناء السلطان محسن رواتب شهرية بهدف كسب ولائهم ، فوافقت حكومة بومباي على ذلك الطلب، ولكنها أوصت بعدم دفع المتأخر من تلك الرواتب ، غير ان السلطان محسن إستمر في عدائه للبريطانيين على الرغم من قطع راتبه[5] .

ونتيجة للظروف التي أحاطت السلطان محسن، وأهمها تخلي القبائل المجاورة له، وأهمها قبائل الفضلي، والحوشبي، والعقربي، والعزيبي، فقد اضطر إلى زيارة عدن في الحادي عشر من شباط 1843، إذ تم الاتفاق على عقد معاهدة صداقة وحسن جوار مع المقيم السياسي البريطاني هينز، واتفق معه على إعادة الأراضي والثروات التي نهبت من

1- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص158.
2- تقع سلطنة الحواشب شمال شرقي لحج وغرب سلطنة يافع، سطحها جبلي ، وشيخها هو فيصل بن سرور الحوشبي، يبلغ عدد سكانها عشرون الف نسمة، وتزرع فيها بعض انواع الحبوب . للمزيد من التفاصيل ينظر: محمود الشرقاوي، المصدر السابق، ص15؛ حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص310.
3- تسلم حكم صنعاء عام 1840 وكان قد ارسل وفداً يحمل هدايا ثمينة لحكومة عدن ولمفاوضة المقيم البريطاني الكابتن هينز لتقديم المساعدة البحرية للإمام حتى يتمكن من إستعادة ((منطقة تهامة)) اليمنية التي إحتلها الشريف ابو عريش . إلا ان الحكومة البريطانية قد إعتذرت عن مساعدته حتى لا يثير لها المشاكل في المستقبل اذا استقرت الامور في بلاده . للمزيد من التفاصيل ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ص143.
4- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص159.
5- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص241.

الشيخ حسن الخطيب وكيل البريطانيين السابق في لحج الى عائلته[1] . كما تعهد السلطان بالموافقة على جميع مطالب التجار اليهود في لحج وعدن، كان من بينها إستعادة ممتلكاتهم التي أمر السلطان محسن بمصادرتها، بعد قيامهم بأعمال التجسس لحساب البريطانيين في عدن[2] . كذلك تعهد السلطان محسن بحماية التجار والمحافظة على سلامة طرق التجارة الداخلية، إعلان موافقته السماح للبريطانيين بإمتلاك الأراضي في لحج مقابل ان تكون لرعاياه ممتلكات في عدن[3] .

لقد نتج عن تلك المعاهدة ان عمّ الهدوء والسلام منطقة عدن[4] ، ففي شهر تموز 1843 أرسل هينز الملازم كروتندن (Lieutenant cruttenden) وهو أحد القادة العسكريين البارزين في الحامية البريطانية لزيارة لحج، بناءً على رغبة السلطان محسن، وكانت تلك الزيارة هي الأولى من نوعها لأحد القادة البريطانيين في عدن الى المنطقة الداخلية[5]، مما جعل حكومة بومباي التفكير بتقليل عدد أفراد حامية عدن، دون أن تتعرض المدينة لأية مخاطر من قبل القبائل اليمنية المجاورة لها .

وفي العشرين من شباط 1844 إرتبط السلطان محسن مع البريطانيين بإتفاق آخر كرر فيه تمسكه بالمحافظة على تعهداته السابقة، وعلى مسؤوليته الشخصية عن أية حوادث تخريب من قبل العرب على الطرق التي تربط عدن بالمناطق الداخلية، وتعهد السلطان بأن يضع كافة إمكانياته في خدمة ((العلم البريطاني))، وفي مقابل ذلك فقد نص الاتفاق على ان يعود للسلطان راتبه الذي كان قد توقف منذ الحادي عشر من تشرين الثاني 1839، عندما قام السلطان محسن في أول هجوم على القوات البريطانية في عدن . وبعد تلك التعهدات التي قدمها السلطان للبريطانيين، ظلت العلاقات جيدة حتى سنة 1845 بين السلطات البريطانية في عدن والقبائل المحيطة بها . كما ظلت القبائل نفسها في حالة هدوء في تلك الفترة[6]، مما ساعد الذي البريطانيين على تدعيم سيطرتهم في عدن إلى حد كبير حينذاك، بالإضافة إلى تنظيم علاقاتهم مع القبائل اليمنية المجاورة لعدن، التي بدأت تتردد على عدن، وتشارك في تنظيم الحركة التجارية فيها .

1- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص208.
2- صباح مهدي رميض، المصدر السابق، ص33.
3- جاد طه، المصدر السابق، ص140.
4- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص241.
5- المصدر نفسه، ص242.
6- جاد طه، المصدر السابق، ص140 ؛ Play fair, op. cit, P. 162

المبحث الثالث : حركة الشريف إسماعيل بن الحسن

لم تستمر حالة الهدوء النسبي حول مدينة عدن على حالها طويلاً ، فقد تعرض البريطانيون في عام 1846 لإحدى حركات المقاومة العربية العنيفة[1]، التي تزعمها الشريف إسماعيل بن الحسن، الذي توجه من مسقط رأسه في مكة، ومنها بدأ زحفه البطيء معلناً الجهاد في سبيل الله، على أمل السيطرة على كل البلاد العربية، ووصل الى ميناء مخا، داعياً رجال القبائل الى الإلتحاق به واعداً إياهم بالنصر المبين على النصارى الذين يحتلون عدن[2] . وكان عدد رجاله ألفين من قبائل عسير وباجل وفي شمالي اليمن حتى وصل الى أراضي السلطنة العبدلية[3] .

وقد إتصل الشريف إسماعيل بسلطان لحج والسلطان الفضلي وسلطان الحواشب وشيخ العقارب، ودعاهم الى إعلان الجهاد، ووعدهم بالمعاونة الإلهية وبالنصر على أعدائهم البريطانيين[4] . وبعد ذلك وصل الشريف الى زائدة، وهي قرية تبعد قرابة سبعة أميال عن عن لحج، وانضم إليه رجال القبائل المتحمسون، وقد قابله السلطان محسن بن فضل وبعض أبنائه[5] .

وكتب السلطان محسن الى هينز ينبئه بمقصد الشريف، وهو الجهاد ضد البريطانيين وطردهم من عدن، فأجابه المقيم بأنه على أتم الاستعداد لصد الشريف وقوته عن عدن . ورغم هذا الاتصال بين السلطان والمقيم الذي نستشف من خلاله ولاء السلطان محسن للمقاومة، فإن السلطان محسن نفسه قام بمعاونة الشريف وجنوده، وفرض على أهالي لحج ان يوفروا المؤن لجنود الشريف إسماعيل[6] . وتلقى الشريف كذلك الإمدادات الضخمة من القبائل القريبة من لحج، وانضم إليه ألف مقاتل من قبيلة العبدلي، وخمسمائة من الفضلي، ومائة من العقربي، ومائتان من الحواشب . وقد أصاب الرعب أهالي عدن، بعد ان إنتشرت بينهم الشائعات، بأن البريطانيين هناك كانوا أضعف من ان يقفوا أمام معجزات الشريف إسماعيل وأفعاله الخارقة، فبدأوا يتسللون بهدوء[7] ، إذ بلغ عدد الذين

1- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص242؛ جاد طه، المصدر السابق، ص141؛ سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص22.
2- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص212؛ احمد فضل العبدلي، المصدر السابق، ص140.
3- عبد الواسع الواسعي، المصدر السابق، ص231.
4- احمد فضل بن علي محسن العبدلي، المصدر السابق، ص149.
5- Play fair, op. cit, P. 166.
6- جاد طه، المصدر السابق، ص142.
7- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص244؛ حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص214.

هجروا عدن في ذلك الحين اكثر من ألف شخص تقريباً . وقد انقطعت المواصلات بين عدن والمناطق المجاورة لها، مما عطل وصول المؤن إليها من الداخل ، بل ان الشريف إسماعيل أرسل رسالته الى المقيم السياسي البريطاني في عدن في شهر آب سنة 1846 قال فيها : **" إسمع يا كابتن هينز سلم لي عدن وما فيها ، فإنك لن تستطع الوقوف أمام طريقي مهما كانت قوتك . إنك يا هينز إن إستمعت الى نصيحتي وسلمت نفسك تسليماً شريفاً، فإن الله عز وجل سيضاعف أجرك، ويمنحك بركاته، ونكون أصدقاء، ولو إن ديانتينا وضعتنا في موقفين مختلفين ، وسيكون لك مالنا وعليك ما علينا، أما إذا أبيت أن تفعل ما أمرك به فلا تلومن إلا نفسك على النتائج . وأوكد لك بأن قدومي من بلد قصيّ لم يكن في سبيل المال، بل من اجل الجهاد في سبيل الله، وعلى الله الإتكال "**[1] .

ويبدو ان الشريف إسماعيل قد أراد بهذه الرسالة إقناع هينز بالتخلي عن عدن بالطرق السلمية، وأراد ان يدخل الرعب في صفوف قواته، من خلال تهديده له بمعجزاته الربانية وأفعاله الخارقة .

بدأت عمليات الشريف الهجومية على القوات البريطانية في عدن في السابع من آب 1846 بقوة قوامها أربعمائة مقاتل، بمحاولة لإستكشاف مواقع البريطانيين . غير أنهم ما كادوا يقتربون من حدود عدن حتى إشتبكوا مع القوات البريطانية التي أجبرتهم على الانسحاب تاركين خلفهم ستة شهداء وسبعة عشر جريحاً و ثلاثة أسرى، وقد أعقب ذلك وقوع عدة مناوشات ، ففي الحادي عشر من آب 1846 زحف الشريف إسماعيل الى منطقة الشيخ عثمان وعسكرت قواته هناك، وأمر ألفاً ومائتين من رجاله بالتقدم نحو جسر خور مكسر، الذي يصل بين عدن والشيخ عثمان[2] .

وفي اليوم السادس والعشرين من آب زحف ألفان من رجاله نحو عدن، ولكنهم قوبلوا بوابل من نيران القوات البريطانية، وعندما رأى السيد إسماعيل فشل محاولاته ، وان الناس بدأوا يشككون بمقدرته، أمر بالزحف العام نحو عدن، فتقدمت قواته التي انقسمت الى فرقتين، إحداهما اتجهت نحو خندق السور، بينما سارت الأخرى نحو باب عدن[3] . وعندما اقتربت قوات الشريف إسماعيل من عدن، تعرضت لنيرانٍ كثيفة من الخطوط الدفاعية البريطانية، كما تعرضت ايضاً لضرب مؤثر من مدفعية السفينة الحربية

1- للمزيد من التفصيلات عن الرسالة ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص214؛ فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص244.
2- جاد طه، المصدر السابق، ص144.
3- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص214.

سيزوستريس ((Cesostris))، التي انتظر قائدها الكابتن هاملتن ((Captain Hamilton)) في ساحل أبين حتى جاء المد، فتقدم نحو الشاطئ، واطلق مدافع سفينته نحو مواقع قوات الشريف، فحطم جسر خور مكسر، والحق برجال الشريف خسائر فادحة[1] . إضافة إلى تفشي وباءي الكوليرا والطاعون بين أتباع الشريف إسماعيل، وفتكا بهم فتكاً ذريعاً[2]، وتفرق الباقون منهم بحثاً عن الطعام، فكان بعضهم يضطر إلى بيع سيفه او بندقيته مقابل حصوله على رغيف خبز[3] .

وبذلك إنهارت مقاومة الشريف إسماعيل، اضطر الى اللجوء الى منطقة أبين برفقة السلطان احمد بن عبد الله الفضلي . ومن هناك استنجد الشريف إسماعيل بإمام صنعاء محمد بن يحيى المتوكل (1845- 1849) لمساعدته ضد البريطانيين، غير أن الإمام تقاعس عن نصرته قائلاً بإستهزاء : **" إن عليه الإعتماد على القوى الروحية التي يمتلكها "**[4] .

ان الخلافات المذهبية قد أضعفت من دور المقاومة العربية للإحتلال البريطاني لعدن، كما أسهمت في تفرق وإضعاف القوى الوطنية في اليمن والجزيرة العربية في ذلك الحين .

وفي الثاني عشر من آب 1848 قتل الشريف إسماعيل بيد بدوي من أهالي أبين، وبذلك انتهت حياة هذا المناضل العربي، الذي كان ينوي تحرير عدن من الاحتلال البريطاني[5] . وكان السبب الرئيس في فشل حملته هو أن البريطانيين كانوا في مركز دفاعي أفضل، فكانوا يتمركزون فوق جبال عدن الحصينة، كما ان سفنهم الحربية كانت على مقربة من منطقة جبل حديدة وخور مكسر، أما المهاجمون اليمنيون فكانوا في أرضٍ مكشوفة، إضافة الى إصابتهم بالتعب، لقدومهم من مسافات بعيدة الى ساحات المعارك[6].

إن لقاء السلطان محسن بالشريف إسماعيل وإيوائه لجنوده في شهر آب 1846 جعل السلطات البريطانية تعد السلطان محسن مشتركاً مع الشريف إسماعيل في حملته على البريطانيين في عدن، فأصدرت أمراً بقطع راتبه الشهري المخصص له من ذلك الشهر[7].

1- Play fair, op. cit, P. 162.

2- احمد فضل بن علي محسن العبدلي، المصدر السابق، ص215- 216.

3- بلغت ضحايا الوباء حوالي 500 شخص Kour, op. cit, P. 142

4- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص160.

5- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص245؛ Play fair, op. cit, PP. 167-168

6- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن 1839- 1967، ص22.

الشهر[1]. وقدم الدكتور احمد فضل العبدلي تفسيراً لتعاون السلطان محسن مع الشريف إسماعيل حيث قال: **" إن سلطان لحج قد انصاع للشريف إسماعيل، وتعاون معه، عندنا رأى الجنود البريطانيين خلف أسوار عدن، ومعهم أسلحتهم الحديثة، في حين تركوه بدون مساعده، وعندئذٍ قام السلطان بمحالفة الشريف إسماعيل حتى يضمن سلامة بلاده ورعيته، إلا ان البريطانيين إعتبروه مشتركاً في الهجوم على عدن، وقطعوا راتبه "[2] .**

أما الدكتور جاد طه فيرى ان وقوف السلطان محسن الى جانب الشريف إسماعيل بدافع ديني ووطني حيث قال: **" إن السلطان محسن قاوم التدخل البريطاني منذ البداية، ولم يقبله حتى بعد إستيلاء البريطانيين على عدن بالقوة، وقام بمحاولات عدة حتى إنه إرتبط مع الحكومة البريطانية بمعاهدات الصداقة، وتقاضى منها راتباً شهرياً ، وهاجم القوات البريطانية ثلاث مرات بقصد إستعادة عدن ، أي إنه كان يراوده حلم إستعادة هذه البقعة من أراضي سلطنته، فلما جاء الشريف إسماعيل من مكة يرفع راية الجهاد الديني المقدس ضد البريطانيين، والتف حوله الكثيرون من رجال القبائل العربية المجاورة لعدن متأثرين بمبدأ الجهاد الإسلامي، ويريدون تطهير هذه البقعة التي إستعصت على سلطان لحج، فقد ساعد السلطان محسن الشريف إسماعيل بقدر طاقته، وهو في نفس الوقت يتخذ حيطته فقد تهزم قوات الشريف أمام البريطانيين ، ومن ثم يتصل بالمقيم في عدن يحذره من تقدم قوات الشريف الى عدن حتى يأخذ المقيم حذره، فإذا ما نجحت قوات الشريف في هزيمة البريطانيين فهو قد إستعاد عدن التي إستعصت عليه، وإذا ما فشلت القوات في تحقيق النصر فهو قد أظهر حسن نيته للبريطانيين بتحذيره المقيم من تقدم قوات الشريف إلى عدن "[3] .**

ونرجح هذا الرأي لما اتضح لنا من خلال التسلسل التأريخي للأحداث وما عرضناه عن سيرة السلطان محسن، ومحاولاته في استرجاع عدن بأي وسيلة، حيث انه كان يستخدم سياسة المراوغة والمخادعة مع البريطانيين ، فبدأ بالتقرب من المقيم السياسي، بعد أن يئس من استرجاع عدن بالهجوم على الحامية البريطانية ، لأنه كان على علم بالقدرة العسكرية الفائقة لعدوه ، وعلى الرغم من تلك السياسة التي اتبعها السلطان محسن مع هينز، إلا أنه قد إعتبره مشتركاً في الهجوم على عدن مع الشريف إسماعيل فأمر بإيقاف راتبه[4] .

1- جاد طه، المصدر السابق، ص143.
2- احمد فضل بن علي محسن العبدلي، المصدر السابق، ص151.
3- جاد طه، المصدر السابق، ص143- 144.
1- جاد طه، المصدر السابق، ص144.

وهكذا فشلت المحاولات الثلاث التي قام بها السلطان محسن سلطان لحج، وشاركه فيها احمد بن عبد الله سلطان الفضلي، لإسترجاع عدن من قبضة البريطانيين، بل لقد فشلت ايضاً المحاولة الكبرى التي قام بها الشريف إسماعيل بن الحسن . وقد ترتب على ذلك الفشل الذي مني به العرب أن توطدت أقدام البريطانيين في عدن، الذين حرصوا على إستمرار تحصينها، لمواجهة أي هجوم للقبائل العربية المجاورة لعدن على القوات البريطانية الموجودة هناك . كما نتج عن هذا الفشل ايضاً فتور الروح المعنوية لأهل البلاد، بعد أن لمسوا عن كثب تفوق البريطانيين العسكري بإمتلاكهم للأسلحة الحديثة، مقارنة مع الأسلحة التي كان يمتلكها العرب آنذاك .

المبحث الرابع : تقويم نشاط حركة المقاومة العربية في عدن تجاه سياسة الاحتلال البريطاني

إن فشل المحاولات السابقة لإستعادة عدن من قبضة البريطانيين، تبعها فترة هدوء، وخصوصاً بعد وفاة السلطان محسن بن فضل العبدلي سلطان لحج في الثلاثين من تشرين

الثاني سنة 1847، الذي بذل جهوداً كبيرة، وشن غارات عديدة على الحامية البريطانية في عدن، ولكن دون جدوى[1] . وقد خلفه ابنه السلطان احمد بن محسن فضل العبدلي، الذي كان له دور مشهود في رفض الاحتلال البريطاني لعدن، حتى انه هددهم بقطع رقابهم إذا حاولوا دخول المدينة، كما كان له دور مشهود ايضاً في فترة النضال ضد البريطانيين، قبل تمكنهم من السيطرة على عدن، غير انه بعد التجارب التي خاضها في حياة والده[2]، وبعد الفشل الذي مني به العرب في نضالهم ضد البريطانيين لإجلائهم عن عدن، بدأ السلطان احمد يغيّر من سياسة العنف والصلابة التي إتبعها مع البريطانيين من قبل، وإستبدلها بسياسة اللين والتظاهر بالمودة، بعد أن يئس من جدوى المقاومة أمام القوات البريطانية التي تمتلك الأسلحة الحديثة، فأخذ يتظاهر بالتقرب والموالاة لهم، وقام بزيارتهم في عدن في شهر شباط عام 1848[3] . تفاوض مع الكابتن هينز في عقد معاهدة تتضمن بعض المطالب التي تتعلق بتنمية الزراعة والتجارة في لحج، وتذكر الوثائق البريطانية ان السلطان احمد قد طلب من البريطانيين الدخول تحت حمايتهم، غير ان حكومة الهند البريطانية رفضت الاستجابة لمطلبه هذا، في الوقت الذي وافقت فيه على معظم المواد المقترحة لعقد تلك المعاهدة[4] .

بعدها أصيب السلطان احمد بمرض الجدري وتوفي في 18 كانون الثاني عام 1849، وخلفه أخوه السلطان علي محسن فضل العبدلي (1849- 1862)، والذي كان حسب وصف اغلب المصادر[5] ، مختلفاً عن أخيه في كل شئ، لا سيما في شعوره نحو البريطانيين، وموقفه منهم، فكان السلطان كوالده متصفاً بالحيطة والحذر من البريطانيين، ولكنه كان اقل رغبة منه في القتال ضدهم . لذلك حاول منذ استلامه للسلطنة إثارة القبائل ضد المقيمية في عدن، للحيلولة دون إقامة علاقات مباشرة بينها وبين تلك القبائل، غير أنه في الوقت نفسه حاول التقرب عن البريطانيين، لكي يثبت لهم انه الوحيد بين حكام المناطق الجدير بثقتهم[6] .

1- Marston, op. cit, P. 142.

2- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، ص216؛ فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص246.

3- Play fair, op. cit, P. 168.

4- Marston, op. cit, P. 147.

5- ينظر على سبيل المثال :

فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص247 ;Play fair, op. cit, P. 168

1- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص174.

وقد توصل البريطانيون في يوم 7 مايس عام 1849 الى عقد معاهدة مع السلطان علي وقعها هينز بتفويض من اللورد دلهوزي ((Marquess of dalhousie)) الحاكم البريطاني العام في الهند (1848- 1856)، الذي أقر المعاهدة وصادق عليها في الثلاثين من تشرين الثاني 1849، وكان الهدف من عقد المعاهدة حسبما ورد في نصها هو: **((الحصول على فوائد تجارية بالطرق الودية، والنية الحسنة، والسلام الدائم، لكلا الجانبين)).** وبمقتضى هذه المعاهدة تعهد السلطان بحماية ممتلكات واموال البريطانيين في لحج، والسماح لهؤلاء الرعايا بزيارة أي جزء من بلاده للتجارة او السياحة، مع ضمان التسامح الديني الكامل في معاملتهم . وتعهد السلطان بالالتزام بإرسال البريطانيين المتهمين أمام القانون الى السلطات البريطانية في عدن لمحاكمتهم ، كما أقر السلطان بأن يكون خور مكسر الحد الفاصل بين حدود السلطان والبريطانيين[1] . كما تعهد السلطان بحماية الطرق الموصلة بين عدن والمناطق الداخلية من قطاع الطرق، وحماية جميع الموارد التجارية المارة عبر سلطنته، على ان يفرض رسوماً على ما يتعلق منها بالدولة البريطانية، وان يحدد الرسم بـ 2% من السعر الأصلي للتجارة الخاصة بالرعايا البريطانيين، وتم الإتفاق على ان تعامل تجارة السلطان بالمثل عند مرورها بعدن، وإضافة الى ذلك فقد تعهد السلطان بالإصغاء الى المقيم البريطاني في عدن في كل الأمور، وبإلقاء المسؤولية الكاملة على نفسه عن أية إعتداءات، تقوم بها القبائل التابعة له في الطرق المؤدية الى عدن، والمارة عبر أراضيه، مع تقديمه الإجابة المقنعة للحكومة البريطانية عن حدوث أي خرق لمواد المعاهدة . وفي مقابل ذلك كله تعهد المقيم السياسي هينز بإسم الحاكم العام للهند بدفع الراتب الشهري البالغ 541 ريال إلى السلطان علي وورثته، طالما إستمروا في إخلاصهم للحكومة البريطانية[2] .

ومن خلال ما تقدم يتضح إن السلطان علي قد قدم كل التسهيلات للبريطانيين للبقاء في عدن مقابل راتب شهري ربما يقطع عنه في أية لحظة ولأي سبب كان ، على ان الأحوال لم تهدأ تماماً بين البريطانيين والعرب في جنوب اليمن عقب توقيع هذه المعاهدة مع السلطان علي محسن بن فضل في سنة 1849 ، إذ تعددت المصادمات بين الجانبين . فقد شهد عام 1850 اعمالاً فدائية قام بها العرب، وسببت كثيراً من القلق للبريطانيين في عدن. وعلى الرغم من أن هذه الأعمال لم تشكل هجوماً شاملاً على البريطانيين، ولم تزد عن كونها محاولات فردية، كانت تظهر بين الحين والآخر، غير أنها أدت الى مقتل عدد

2- جاد طه، المصدر السابق، ص145.
3- للمزيد من التفاصيل عن المعاهدة ينظر: حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص217- 221.

غير قليل من البريطانيين[1] . ففي التاسع والعشرين من مايس عام 1850 حدثت أول سلسلة من أعمال المقاومة ضد البريطانيين في عدن، أدت الى تعقيد العلاقات بين بريطانيا والقبائل العربية عندما تقدمت سفينة حربية صغيرة تدعى أوكلاند ((Auckland)) إلى شمالي شرقي ميناء عدن، ونزل بعض أفراد طاقمها على الشاطئ لجمع أصداف البحر ، وهاجمهم بعض البدو من بير احمد، وقتلوا أحد البحارة البريطانيين وجرحوا آخر[2] .

كما جرى بعد هذه الحادثة بأيام قليلة قيام بدوي واسمه سيد أبو بكر بجرح جندي هندي مدراسي من قوات فرقة المشاة الخفيفة الثالثة التابعة للقوات البريطانية في عدن ، فقتله الحراس[3] .

وفي الثامن والعشرين من شباط عام 1851 قامت مجموعة من ضباط الحامية البريطانية في عدن برحلة قنص الى الساحل المجاور لعدن، وكانت المجموعة تتكون من الكابتن ميلين (Miline) والملازمين مفرسون (Mepherson) و أوجيلفي (Ogilvie) برفقة الملازم كروتندن مساعد هينز متوجهة الى لحج[4] . وقضت المجموعة ليلتها الثانية في منطقة الوهط، وهي قرية يسكنها أشخاص يدعون انتسابهم الى الرسول محمد **(صلى الله عليه وسلم)** . وفي منتصف الليل وبينما كان الجميع نياماً وفي غفلةٍ من الحرس إستطاع أحد رجال القرية ويدعى سيد حسين التسلل الى الدار التي يسكنها الضباط فهاجمهم وأصاب الكابتن ميلين بجروح خطيرة أودت بحياته، وعندما إستيقظ الآخرون وجدوا السيد حسين قد هرب الى أراضٍ تابعة لقبيلة الحوشبي، ولكن سلطانها رفض إستقباله فلجأ الى سلطان أبين احمد بن عبد الله الفضلي[5] .

وفي السابع والعشرين من آذار 1851 حاول رجل مسلح من سلطنة العقربي دخول عدن لقتل المقيم السياسي ، وعند وصوله إلى هناك، كان أول من لقبه الملازم ديلسر (Delisser) أحد الضباط البريطانيين وكان ممتطياً حصانه، فادعى الرجل انه يريد ان يقدم له طلباً مكتوباً، ففي غفلة منه قطع الرجل البدوي عنان الحصان، فهبط دليسر،

1- جاد طه، المصدر السابق، ص146؛ فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص248.

2- Hunter, op. cit, P. 166.

3- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن، ص22؛ Play fair, op. cit, P. 109 .

4- كان الهدف من رحلة كروتندن الى لحج هو مقابلة السلطان علي بن محسن لمناقشة موضوع محاصرة منطقة بير احمد للقبض على قاتل البحار البريطاني في أيار 1850 . للمزيد من التفاصيل ينظر: علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص175.

5- يشير مارستون الى ان السيد حسين إعترض على نزول من وصفهم ((بالكفرة)) بالقرب من داره، ولما لم يستجب احد لندائه لم يفكر بشئ في تلك اللحظة للتعبير عن غضبه سوى قلقهم . للتفاصيل ينظر: Marston, op. cit, P. 154.

وتصارع الاثنان، وتمكن الرجل العربي من إصابته بعدة طعنات، ولكن الضابط البريطاني انتزع الخنجر فأرداه قتيلاً، وقد علق البريطانيون جثته على باب عدن، لكي يراها كل العرب القادمون الى عدن، ليكون ذلك الرجل عبرة لكل من تسول له نفسه مقاومة البريطانيين(1) .

وقد أدى ذلك الحادث إلى قيام هينز بإصدار سلسلة من قوانين الطوارئ، كان من بينها تفتيش كل عربي قادم الى عدن تفتيشاً دقيقاً، ثم منحه بطاقة دخول، تسمح له البقاء في المدينة حتى الساعة الثالثة عصراً، إلا في الحالات الضرورية التي يجب فيها إبلاغ المقيم السياسي البريطاني في عدن وأخذ موافقته(2) . غير أن العرب لم يغفلوا عن استغلال كل فرصة ممكنة للإيقاع بالبريطانيين، على الرغم من الإجراءات المشددة التي فرضت عليهم. فقد قام رجل بدوي في الثاني عشر من تموز 1851 بمهاجمة السفينة البريطانية سنس أوف كمرس (Csons of commerce)، التي كانت قد تحطمت عند الشواطئ قرب عدن، وأسفر الهجوم عن قتل إثنين من بحارتها . وقام السلطان علي محسن بن فضل العبدلي بالقبض على القاتل وأمر بشنقه في السابع من تشرين الأول 1851(3) .

إن قيام السلطان بهذا الإجراء تعبير منه عن حسن نيته تجاه البريطانيين، وللتقرب إليهم اكثر من بقية القبائل المجاورة لعدن .

يتضح من خلال ما تقدم ان الهجمات الفردية على الضباط البريطانيين ومحاولة قتلهم بما فيهم المقيم هينز، تؤكد ان العلاقات كانت غير مستقرة بين السلطة البريطانية في عدن ورجال القبائل العربية المحيطة بها، وعبرت تلك الهجمات المتفرقة عن استمرار المقاومة العربية ضد قوات الاحتلال البريطانية، كما إنها سببت لهينز بعض المتاعب أثناء عمله كمقيم سياسي في عدن، لذلك فقد حاول هينز مراراً ان يضع حداً لعمليات المقاومة الفردية بشتى الوسائل الممكنة، منطلقاً من إدراكه أن المتاعب التي حصلت للسلطة البريطانية في عدن سوف تؤدي إلى عدم الإستقرار، وبالتالي سوف يؤدي ذلك إلى الإضرار بالمصالح البريطانية في عدن والمناطق المجاورة عموماً من جانب، والتأثير على هينز ومستقبله السياسي في عدن من جانب آخر .

1- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص221- 222.
2- Kour, op. cit, P. 48.
3- جاد طه، المصدر السابق، ص148؛ Play fair, op. cit, P. 170 .

ورأى هينز ضرورة معاقبة السلطان احمد بن عبد الله الفضلي، لإيوائه السيد حسين، الذي قتل الكابتن ميلين، أحد الضباط البريطانيين الكبار في عدن .

واقترح هينز في مذكرة بعث بها الى حكومته، حملها الملازم كروتندن الى بومباي إيقاف جميع الرواتب التي تسلم الى سلاطين القبائل المجاورة لعدن، وأهمها قبيلة العبدلي، التي يتزعمها السلطان علي بن محسن بن فضل، وكذلك السلطان الفضلي، حتى يتم تسليم تسليم القاتل الى السلطات البريطانية في عدن[1] .

وقدم هينز هذا المقترح الى حكومته لعلمه بنقطة الضعف التي يضغط بها على شيوخ القبائل المجاورة لعدن، وهي إيقاف دفع الرواتب لهم، ليقوموا بمساعدته في تحقيق الهدوء والاستمرار بتعهدهم بعدم ضرب الحامية البريطانية في عدن، الأمر الذي يؤدي الى تحقيق المصالح البريطانية في تلك المنطقة بأقل التكاليف المادية والبشرية للحامية العسكرية هناك.

وعلى أية حال فقد وافق فولكلاندل ((Falkland)) حاكم بومباي حينذاك على مقترح هينز بإيقاف دفع الرواتب لشيوخ القبائل المجاورة لعدن، ولكنه رفض اتخاذ أي إجراء عسكري ضد تلك القبائل، قبل ان تعطى للوسائل الدبلوماسية فرصتها في حل المشكلة[2] . وعندما علمت حكومة الهند بالأمر، أبلغ الحاكم العام حكومة بومباي بضرورة قيام سلطان لحج بالقبض على القاتل، وإذا لم ينفذ ذلك ضمن مدة محددة فسوف يتم قطع كل العلاقات الودية مع السلطان، وفي العاشر من حزيران عام 1851 وافقت حكومة الهند على إستخدام القوة في حالة عدم القبض على القاتل، وأمرت هينز بإستخدام إمكاناته الخاصة لتحقيق ذلك، لأنها عاجزة عن تقديم تعزيزات أخرى من المقاتلين، لإرسالها إلى عدن قبل مضي شهرين على أقل تقدير[3] .

وفي الوقت الذي كان الحر الشديد قد أعاق هينز عن تنفيذ الحملة التي ينوي إعدادها لهذا الغرض، فإن جميع خطط الحملة قد توقفت بأوامر صادرة من اللجنة السرية في لندن في التاسع والعشرين من أيلول عام 1851، التي أكدت على عدم إتخاذ أي من الإجراءات التي تعدّ اكثر قسوة من إيقاف صرف الرواتب إلا في حالة الضرورة القصوى، وأدرك الحاكم العام من لهجة رسالة اللجنة السرية أن مسؤولي اللجنة لا يهتمون برفض السلطان

1- جاد طه، المصدر السابق، ص148.

2- Marston, op. cit, P. 155.
3- Ibid, P. 156.

الفضلي تسليم القاتل او معاقبته، ولا يعدون ذلك أمراً يشكل الضرورة التي تسوغ شن الحرب . كما أدرك ايضاً أن اللجنة كانت مقتنعة بأن إيقاف صرف رواتب السلطان هو عقوبة كافية لمنعه من ممارسة أعمال العنف او التشجيع عليها[1] . وفي ضوء ذلك لم يكن أمام الحاكم العام إلا إطاعة أوامر اللجنة السرية، وإبلاغ حاكم بومباي بالأمر، وهكذا فقد توقف هينز عن تنفيذ أمر حكومة الهند السابق، وإكتفى بتهديد سلطان الفضلي بإنزال العقوبة الرادعة بحقه إذا إمتنع عن تسليم قاتل الكابتن ميلين، الذي لجأ إليه، وقد غاب عن هينز أمر القاتل بوصفه مستجيراً عند الفضلي، والمستجير عند العرب لا يجوز تسليمه بموجب الأعراف والتقاليد السائدة عندهم[2] .

إن التباين الذي حصل بين موقف كل من حكومة الهند الملتزمة بآراء اللجنة السرية في لندن، وحكومة بومباي، إزاء الأوضاع السائدة في عدن، خلال تلك المرحلة، يأتي من إختلاف رؤية كلٍ منهما حول أهمية عدن . فقد رأت حكومة بومباي أن عدن تشكل موقعاً اكثر أهمية لأنها جزءٌ من نظام متكامل، للسيطرة على الطرق المؤدية إلى الشرق، وهي في الوقت نفسه قاعدة مهمة للبحرية البريطانية، التي كانت توجه بشكل مباشر من قبل الحكومة البريطانية في بومباي ، مما يجعلها على دراية تامة بأمور القوى المحلية في مدينة عدن، والمناطق المجاورة لها[3] .

أما اللجنة السرية التي كانت تمثل الاتجاه الحكومي المسيطر على الإمبراطورية البريطانية المترامية الأطراف، التي كانت تهيمن على حكومة الهند، فإنها كانت تنظر الى عدن على إنها مجرد مستودع للفحم، وتنظر إلى البحر الأحمر على انه مجرد طريق للمرور، ولذلك فإنها رأت ضرورة تخفيض تدخل السلطات البريطانية في منازعات شيوخ المناطق المجاورة لعدن، إلى أدنى حد ممكن، وإستخدام كل الأساليب السياسية التي يمكن أن تحقق اكبر قدر من الفائدة للبريطانيين، بأقل قدر من الخسائر المادية والبشرية[4] .

ووفقاً لهذه السياسة فقد أدرك هينز أن الوسيلة الوحيدة أمامه في إدارة عدن، تتمثل في محاصرة ميناء شقرة الفضلي، ومحاولة إبعاد الأفراد من القبائل المناوئة لبريطانيا عن عدن، وإقامة علاقات ودية مع القبائل المجاورة لسلطنة الفضلي، ومنها قبائل العوالق،

1- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص250.
2- علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص178.
3- المصدر نفسه ، ص179 .
4- Marston, op. cit, P. 156.

ويافع، وقبيلة الحوشبي، والعقربي[1] . وقد استمر هينز في سياسته تجاه القبائل العربية في عدن والمناطق المجاورة لها، حتى عزل عن منصبه في عام 1854[2] .

لقد بذل هينز جهوداً كبيرة لتنفيذ السياسة الاستعمارية البريطانية في وضع ميناء عدن في خدمة الاستعمار البريطاني، لتحقيق أغراضه التوسعية والعدوانية ، وقد فرض نزول البريطانيين إلى عدن بصفة خاصة، وعلى منطقة البحر الأحمر بوجه عام، صراعاً مريراً بين رفض الوجود البريطاني في تلك المنطقة، وبين محاولة التفاهم معها من قبل شيوخ بعض القبائل، وكان لهينز دور كبير في إحباط المحاولات التي قامت بها القبائل العربية لإستعادة عدن من قبضة البريطانيين[3] . حيث قام هينز بإتباع سياسة ((فرق تسد))، للقضاء على تلك المحاولات، بإغراء شيوخ القبائل بالرواتب، والهدايا، ومظاهر الاحترام المصطنعة، وتوزيع البنادق والذخيرة على شيوخ القبائل المحيطة بعدن، لإثارة الروح القبلية عندهم، كما شجع على إستمرار النزعات بين القبائل، ومنها أخذ الثأر فيما بينهم[4] .

وقد سار على نهجه من جاء بعده من المسؤولين البريطانيين ، فقد نجح كوجلان في استمالة السلطان علي بن محسن فضل العبدلي، وكسب صداقته للبريطانيين ، وقام السلطان علي بدوره بالتوصل الى صيغة تفاهم مع السلطان احمد بن عبد الله الفضلي، تضمنت عقد إتفاقية صداقة وسلام مع السلطات البريطانية في عدن . كما إن السلطان احمد بن عبد الله الفضلي قد أعلن للسلطات البريطانية ان قاتل الكابتن ميلين، الذي كان يأويه قد تم طرده من أراضيه، الأمر الذي عجز هينز عن تحقيقه . ووعد السلطان الفضلي بإحترام الاتفاق الذي أبرمه مع البريطانيين ، وأكد عزمه على المحافظة على سلامة وأمن الطرق المؤدية إلى عدن، وأعرب عن أمله في أن تعيد له السلطات البريطانية صرف راتبه[5] .

وهكذا تلاشت المقاومة العربية بعد تلك الاتفاقيات والعهود التي أعطاها شيوخ قبيلتي العبدلي والفضلي للسلطات البريطانية في عدن، مقابل رواتب شهرية غير ثابتة، بالإمكان حجبها عنهم متى شاءت السلطات البريطانية ذلك .

1- Play fair, op. cit, P. 170.
2- Marston, op. cit, P. 136.
3- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص253.
4- قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص33.
5- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص223.

ومن خلال ما تقدم، يمكننا أن نوجز أهم العوامل التي أدت إلى فشل المحاولات العربية لاستعادة عدن من البريطانيين بما يأتي :

أولاً: التفوق العسكري الكبير للقوات البريطانية والأسلحة الحديثة، التي يستخدمونها مقارنة بالأسلحة البسيطة للقبائل العربية، التي كانت تستخدم للهجوم على البريطانيين، وهي بنادق قديمة، لا تستطيع الصمود أمام النيران الكثيفة، التي تطلقها المدافع المحمولة على السفن البريطانية(1) .

ثانياً : تمركز البريطانيين بمواقع دفاعية محصنة بشكل جيد، بالإضافة إلى إنتشارهم فوق جبال عدن . أما المهاجمون العرب فإنهم يقاتلون في ارض مكشوفة، ويأتون من مناطق بعيدة(2) .

ثالثاً : الخلافات المذهبية بين أئمة اليمن في الشمال وقبائل الجنوب اليمني المحيطة بعدن، أدت إلى عدم تجمع القوى الوطنية، حيث تقاعس أئمة صنعاء عن نصرة إخوانهم في الجنوب، فإن بعض الأئمة حاول التقرب من الحكومة البريطانية في عدن، لأغراض سياسية، كان الهدف منها الحصول على مكاسب سياسية، وخصوصاً محاولة الحصول على مساعدتهم في إستعادة إقليم تهامة اليمني(3) .

رابعاً : إفتقار المقاتلين العرب إلى قيادة تمتاز بالوعي والتخطيط المنظم، فقد كانت القيادة آنذاك تتمثل بشيوخ القبائل، الذين إشترى البريطانيون ذممهم بالرواتب والمكافآت المالية(4)، بالإضافة إلى مظاهر الاحترام المصطنعة التي يخدعهم بها البريطانيون ، وكذلك إرتباطهم مع السلطات البريطانية في عدن بمعاهدات صداقة، تصب في خدمة المصالح البريطانية، ومن أهم بنود تلك المعاهدات عدم التعرض للقوات البريطانية، وتسليم كل شخص يقوم بضرب البريطانيين(5) .

الأمر الذي جعل رجال المقاومة يحاربون أعداءهم بشكل إنفرادي وغير منظم، مكتفين بما يجيش في صدورهم من حماسة مشحونة بطابع ديني ضد من وصفهم بالكفار، ويؤمنون بأن ما يعده البريطانيون تمرداً، هو نضال لتحرير بلادهم من السيطرة الأجنبية .

1- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية، ص246.
2- سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن 1839- 1967، ص22.
3- قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص65.
4- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص202.
5- كامل المشاهدي، المصدر السابق، ص95.

خامساً : الدور الكبير الذي أداه هينز من خلال إستخدامه لسياسة بريطانيا القائمة على إستعمار الشعوب ونهب خيراتها ، وهي سياسة فرق تسد، حيث كان يشجع الخلافات بين القبائل العربية المجاورة لعدن، للحيلولة دون قيام جبهة عربية موحدة ضدهم[1] . وقد اتبع المقيمون البريطانيون الذين تولوا حكم عدن من بعده نفس السياسة، خصوصاً مع سلاطين قبيلتي العبدلي والفضلي ، التي هاجمت القوات العسكرية البريطانية مرات عدة، في محاولة لأستعادة عدن من سيطرتهم . الأمر الذي أدى إلى تلاشي المقاومة العربية في السنتين اللتين أعقبتا حكم هينز[2] .

وعلى أية حال فإن المحاولات العربية على الرغم من فشلها للأسباب التي ذكرت، فإنها أثبتت للبريطانيين بأن العرب في تلك المنطقة يرفضون كل أشكال السيطرة الاستعمارية . كما إنها تعتبر القاعدة الرئيسية لإنطلاق الحركة الوطنية الكبرى، ليس لتحرير عدن فحسب، وإنما لتحرير كافة مدن الجنوب اليمني، وهو ما حدث فيما بعد في عام 1967.

1- قحطان محمد الشعبي، المصدر السابق، ص33- 34.
2- حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص224؛ قصي كامل شبيب، المصدر السابق، ص74.


الخاتمة

- الخاتمة -

لقد إتضح لنا من خلال هذا البحث إن منطقة عدن تمتاز بأهميتها الاستراتيجية الكبيرة وموقعها الجغرافي المهم ، فقد كانت منذ القدم محطة للتبادل التجاري بين الشرق والغرب، إضافة الى تحكمها في طريق البحر الأحمر الذي يعتبر من أهم الطرق البحرية في العالم، حيث إنه يمثل حلقة إتصال بين القارات الثلاث الرئيسية في العالم وهي آسيا وأفريقيا وأوربا .

ونظراً للأهمية الكبيرة لموقع عدن، فقد أصبحت ميداناً للتنافس بين الدول الأوربية منذ بداية القرن السادس عشر . وأبرز تلك الدول البرتغال وهولندا وفرنسا والدولة العثمانية . إلا إن بريطاني كانت اكثر تلك الدول تطلعاً للسيطرة على هذه المنطقة الحيوية من العالم، وقد بدأت الحكومة البريطانية في الهند تتحين الفرص لتبسط نفوذها على عدن خصوصاً بعد ان وردتها العديد من التقارير من الساسة والمسؤولين البريطانيين في الشرق، حيث أكد هؤلاء المسؤولين في تقاريرهم إن بريطانيا لكي تتمكن من تحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية يجب ان تسيطر على ميناء عدن الذي يعتبر افضل الموانئ لتزويد السفن التجارية البريطانية بالوقود والمؤن أثناء رحلاتها من الهند الى البحر المتوسط . وإستطاعت بريطانيا ان تنفذ مخططها بإحتلال عدن في التاسع عشر من كانون الثاني 1839.

وأخيراً فقد توصلت الدراسة الى الاستنتاجات الآتية :

1- أهمية عدن كونها تمثل البوابة الجنوبية للبحر الأحمر .
2- إزداد الصراع الدولي على عدن بعد ان إكتشفت أهميتها الاقتصادية والتجارية .
3- كان ضعف الدولة العثمانية سبباً في تزايد أطماع الدول الأجنبية وخاصة بريطانيا في المنطقة العربية بشكل عام وعدن بشكل خاص .
4- كانت قوة محمد علي وتزايد أطماعه في الجزيرة العربية وعدن على وجه الخصوص قد دفعت الدولة العثمانية الى ان تطلب من الدول الأوربية الوقوف ضد مشاريع محمد علي التوسعية ، فإستجابت لها تلك الدول وخاصة بريطانيا التي أغاضها تقدم محمد علي بإتجاه عدن وتفكيره بالاستيلاء عليها .
5- كانت بريطانيا قد إستخدمت أساليب جديدة للسيطرة على عدن، فإستخدمت أسلوب الضغط السياسي تارة، والمناورات الحربية لإرهاب السكان تارة أخرى، فتمكنت في النهاية من إحتلال عدن نتيجة لإنعدام التكافؤ في النواحي الفنية والعسكرية

والإدارية بين القوات العسكرية البريطانية والجنود العرب الذين وقفوا بوجه القوات البريطانية .

6- قامت الحكومة البريطانية بمنح شيوخ القبائل المجاورة لعدن رواتباً ومكافآت مالية، إضافة الى عقد معاهدات للسلام والصداقة مع شيوخ القبائل، لتتمكن من تكريس سيطرتها على عدن وتستخدمها قاعدة للتوسع في المناطق العربية الأخرى .

7- كان موقف أبناء اليمن بوجه الاحتلال البريطاني لعدن يعبر عن رفضهم لكل أشكال التسلط الاستعماري ويبين ان أبناء تلك المنطقة يؤمنون بحقهم في العيش بحرية بعيداً عن الهيمنة الاستعمارية لذلك قاوموا قوات الاحتلال البريطاني وقدموا التضحيات من اجل الدفاع عن عدن .

8- كان من بين أسباب فشل المقاومة العربية ، خيانة وتراجع بعض القبائل العربية ووقوفها الى جانب القوات البريطانية .

9- كان لهينز دور كبير في تكريس الوجود البريطاني في عدن من خلال تأثيره على شيوخ القبائل المجاورة لعدن، فقد إشترى ذممهم بالرواتب والمكافآت المالية التي كان يمنحها لهم ويستخدمها كوسيلة ضغط عليهم، الأمر الذي أدى الى إضعاف الروح المعنوية عندهم وبالتالي إضعاف المقاومة العربية في تلك الفترة .

المصادر

و

المراجع

- الوثائق الإنكليزية المنشورة -

1- F.O., 1,5/ 1126, lyton and others of marquis of salis bury, 8th November, 1877 .
2- [IOR P/ 361/ 12] letter from sultan Hamed bin Abdullah of the fadhli, 20 November 1838, Doreen Ingrams and heila ingrams (ed), Records of Yemen (1798- 1960), vol.2 (1838- 1854), London, 1993, P. 56.
3- [IOR, sec / Bom/ 104], Haines to sultan Hamad, 23 November 1838, Records of Yemen , vol.2 (1838- 1854), P. 56.
4- [IOR P/ sec/ Bom/, letter from sayyid zayn to Haines, 29 November, 1838, Records of Yemen, vol. 2, P. 56.
5- [IOR P/ sec/ Bom/ 104], letter from Haines to sayyaid zayn, 29 November , Records of Yemen, vol. 2, P. 57.
6- [IOR P/ sec/ Bom/ 110], letter from Haines to Ibrahim Pasha, 25 Feberuary 1839, Records of Yemen, vol. 2, P. 223.
7- [IOR /20/ A/ 434 P/ sec/ Bom/ 108], Haines to Major Bailie, 28 January 1839, Records of Yemen, vol. 2, P. 181.
8- [IOR P/ sec/ Bom/ 108], Treaty of friend ship and peace between the English and Hazzabe tribe, 31 January 1839, Records of Yemen, P. 192.
9- [IOR / sec/ Bom/ 23], bond of security between sultan of Lahij and his sons an the British, 18 June, Records of Yemen, P. 361.
10-[IOR/ P/ sec/ Bom/ 254], Aden declared a free port of propest Act, 22 September 1849, Records of Yemen, P. 575.
11- [IOR P/ sec/ Bom/ 265], report from Haines to Malet, 28 Feberuary 1850, Records of Yemen, P. 613.

- الموسوعات -

1- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج1، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، 1986.
2- شمس الدين سامي، قاموس الأعلام ، ج4، إستانبول، (1306هـ - 1888م) .
3- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة للطبع والنشر، بيروت، 1977.
4- Encyclopedia Britanhica, part. 1, The university of chicago, Deptof Alato Arthemetic, U.S.A, 1968.

أولاً : الرسائل والأطاريح الجامعية

1- ابراهيم خلف العبيدي ، الحركة الوطنية في الجنوب اليمني 1945- 1967، أطروحة دكتوراه منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1979.
2- آمال ابراهيم محمد ، الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1988.
3- جمال هاشم احمد الذويب ، سياسة بريطانيا تجاه أفغانستان 1907- 1929، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1994.
4- خلف راجح جيناوي ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، الخصائص الجيبولوتيكية للموقع الجغرافي واثرها في العلاقات الدولية، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة، كلية التربية، 1989 .
5- سعيد شخير سوادي الهاشمي ، إتحاد الجنوب العربي 1959- 1967، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، 1999.
6- صباح مهدي رميض الأموي ، التطورات السياسية في الجنوب اليمني 1918- 1945، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد 1997.
7- علي خضير عباس المشايخي ، السياسة البريطانية في البحر الأحمر 1798- 1882، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1997.
8- محمد عبد الحسين الحلي ، عدن والصراعات الدولية في البحر الأحمر 1798- 1839، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية التربية، 1988.
9- محمود عبد الواحد القيسي ، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية البريطانية في الهند، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1993.

ثانياً : الكتب العربية والمعربة

1- إبراهيم خليل احمد، تأريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516- 1916، مطبعة جامعة الموصل، 1983.

2- احمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التأريخ (من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين)، ط1، مطبعة السّنة المحمدية، القاهرة، 1988.

3- احمد فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، مراجعة وتعليق د. عبد الحليم نور الدين، المكتبة اليمنية للتوزيع والنشر، بيروت، 1988.

4- أحمد فؤاد متولي، الفتح العثماني للشام ومصر، ط1، القاهرة، 1995 .

5- احمد فضل بن علي محسن العبدلي، هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن، ط2، بيروت، 1980.

6- احمد محمد بن بريك، اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر 1869- 1914، ط1، دار الثقافة العربية للطباعة والنشر، جامعة عدن، 2001 .

7- إريك ماكرو، اليمن والغرب 1571- 1962، ترجمة حسين عبد الله العمري، ط2، دمشق، 1987.

8- أمين الريحاني ، ملوك العرب او رحلة في بلاد العرب السعيدة، ج1، ط1، المطبعة العلمية، بيروت، 1929.

9- أمين سعيد، تأريخ الاستعمار الانكليزي في بلاد العرب، ج1، مطبعة عيسى الحلبي وشركائه، القاهرة، د. ت .

10- بانيكار . ك.م، آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مطبعة دار المعارف، القاهرة، 1962.

11- جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969.

12- جاكلين بيرين، إكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري فلعجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1963.

13-جلال يحيى، البحر الأحمر والاستعمار، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1963.

14-جودت حسنين جودت ، شبه الجزيرة العربية دراسة في الجغرافية الاقليمية، ط1، القاهرة، 1963.

15-جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1973.

16-جوزيف حجاد، اوربا ومصير الشرق العربي (حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية)، ترجمة بطرس الحلاق، بيروت، 1976.

17-حسن صالح شهاب، أضواء على تأريخ اليمن البحري، ط2، دار العودة، بيروت، 1981.
18-حسين عبد الله العمري، مائة عام من تأريخ اليمن الحديث 1748- 1848، ط1، المطبعة العلمية، دمشق، 1984.
19-حسين لبيب، تأريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، القاهرة، 1921.
20-حمزة علي ابراهيم لقمان، تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1960.
21-حمزة علي لقمان، معارك حاسمة في تأريخ اليمن، ط1، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، 1978.
22- حمزة علي ابراهيم لقمان، تاريخ الجزر اليمنية، مطبعة يوسف وفيليب جميل، بيروت، 1972.
23-زاهية قدورة، تأريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1975 .
24-سعيد عوض باوزير، معالم تاريخ الجزيرة العربية، عدن، 1966.
25-سلطان ناجي، التأريخ العسكري لليمن 1839- 1967، ط2، بيروت، 1985.
26- سليمان إبن محمد الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية 1811- 1840، ط1، جدة، 1980.
27- سويتا هاو، في طلب التوابل، ترجمة محمد رفعت، مطبعة الفجالة، القاهرة، 1960.
28- شاكر الجوهري، الصراع في عدن، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992.
29- شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، ج4، استانبول، 1888.
30- شمس الدين محمد علي بن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، ج2، ط1، القاهرة، 1962.
31- شوقي عطا الله الجمل، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1974.
32- صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798- 1810، مطبعة العاني، بغداد، 1978.
33- صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية ، مطبعة مصطفى الباري، القاهرة، 1949.
34- صلاح العقاد، جزيرة العرب في العصر الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969.

35- صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1983.
36- عبد الله احمد الثور، هذه هي اليمن، ط1، مطبعة المدني، صنعاء، 1969.
37- عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون 1516- 1916، ط1، منشورات ألف باء الآداب، دمشق ، 1974 .
38- عبد العزيز سليمان نوار، تأريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، 1968 .
39- عبد الله شاكر الطائي، النظرية العامة للمضائق، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، 1974.
40- عبد الله سعيد ومازن مغايري، موسوعة أطلس العالم، ط1، دار الرضوان، حلب، 2003.
41- عبد الرحمن بن علي بن محمد الربيع، الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار زيد، دراسة وتحقيق محمد عيسى صاكيه، الكويت، د. ت .
42- عبد الفتاح ابراهيم، على طريق الهند، مطبعة الأهالي، بغداد، 1935.
43- عبد الواسع بن يحيى الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تأريخ اليمن ، ط2، القاهرة، 1947.
44- عبد الحميد البطريق، من تأريخ اليمن الحديث 1517- 1840، القاهرة، 1969.
45- عزة النص، الوطن العربي الاتجاه السياسي والملامح الاقتصادية، دار اليقظة العربية، دمشق، 1959.
46- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2005.
47- عمر رضا كحالة، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ط2، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1949.
48- فاروق عثمان أباظه، الحكم العثماني لليمن 1872- 1918، ط2، بيروت، 1979.
49- فاروق عثمان أباظه، عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر 1839- 1918، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1976.
50- قصي كامل شبيب، أهمية مضيق باب المندب في التأريخ الحديث والمعاصر، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ، 1994.
51- قطب الدين بن محمد النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض، 1967.

52- قحطان محمد الشعبي، الاستعمار البريطاني ومعركتنا في جنوب اليمن، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969.
53- كامل المشاهدي، حقائق عن الجنوب اليمني ونضال عدن، بغداد، 1961.
54-كارل بروكلمان، تأريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين ، ط3، بيروت، 1960 .
55- محمد كمال عبد الحميد، الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية، ط4، القاهرة، د. ت.
56-ميلاد القرمي، تأريخ أوربا الحديث، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1996 .
57- محمد بن احمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط1، القاهرة، 1960.
58- محمود الشرقاوي، جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، دار القاهرة للطباعة، 1959.
59- مصطفى مراد الدباغ، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الاسلام، ج2، منشورات دار الطليعة، بيروت، 1967.
60- ماكندر، مناخ القارات، ترجمة حسين طه النجم وآخرون، ج1، مطبعة الحكومة، بغداد، 1967.
61- محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، 1986.
62- محمد حسن عوبلي، إغتيال بريطانيا لعدن والجنوب اليمني، منشورات العصر الحديث، بيروت، 1971.
63- محمد حسن، قلب اليمن، مطبعة المعارف، بغداد، 1947.
64- محمد رجب جراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840- 1909، القاهرة، 1970.
65- محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة، د. ت.
66- سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن 1538- 1635، القاهرة،1969.
67- محمود كامل المحامي، اليمن شماله وجنوبه، دار بيروت للطباعة، بيروت، 1968.
68- محمد فريد بك المحامي، تأريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، دار الجليل، بيروت، 1977.

69- محمد أنيس ، الشرق العربي في التأريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، 1967.
70- محمد يحيى الحداد، تأريخ اليمن السياسي، ط2، دار العودة، بيروت، 1976.
71- هانز هولفرنتز، اليمن من الباب الخلفي، تعريب خيري حماد، ط2، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1966.
72- وليد محمد جرادات، الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، الدوحة، 1986.
73- ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الرابع، بيروت، 1957.
74- يلماز اوزتونا، تأريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، ط1، استانبول، 1982.
75- نيقولاي إيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516- 1574، ترجمة يوسف عطا الله، ط1، بيروت، 1988.
76-نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، القاهرة، 1973 .

- المصادر الأجنبية -

1- B. Wyman Bury, Arabia infelix or Turks in Yemen, London, 1915.

2- F.M. Captain, Hunter; An Account The British settlement of Aden in Arabia, Frank cass co, LTD. 1968.

3- Gavin, R. J; Aden under British rule 1839- 1967, London, G. Hurst company , 1972.

4- Hoskins, Halford Lancaster , British Rountes to India, Frank cass, London, 1961.

5- Ingrams, Harold, The Yemen Imams, Rulers and Revolutions, London, 1963.

6- Jacob, Harold F. Kings of Arabia, the rise and set of the Turkish soveranty in the Arabian peninsula, London, 1923.

7- Kour, Z.H, History of Aden 1839- 1872, London, 1981.

8- Little Tom, South Arabia, Area of conflict, London, 1968.

9- Play fair . G.R.L; A History of Arabia Felix or Yemen, fhilo press, Amsterdam, 1970.

10- Ston, F; studies on the Tihama, 1982.

11- Thomas Marston; The British's imperial role in the red sea Area , 1800- 1878, the shaw string press, U.S.A, 1981.

12- Water field, Gordon, sultans of Aden, London, 1968.

- الدوريات العربية –

1- أحمد قائد الصائدي، المادة التأريخية في كتابات نيبور عن اليمن، بحث مقدم الى الندوة العلمية حول اليمن عبر التأريخ، جامعة عدن 23- 25 أيلول ، 1989 .
2- سلطان ناجي، " الخلفية التأريخية للاحتلال البريطاني لعدن "، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثاني، نيسان، 1975.
3- صالح رمضان محمود، " الصراع البرتغالي في اليمن 1517- 1538 "، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 47، السنة الثانية عشر، البصرة، تموز، 1986.
4- صالح محمد العابد، " هل استهدفت الحملة الفرنسية على مصر الهند "، مجلة دراسات في التأريخ والآثار، العدد الأول، بغداد، 1981.
5- صبري فارس الهيتي، " الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر "، مجلة آفاق عربية، العدد التاسع، بغداد، مايس ، 1984.
6- طارق نافع الحمداني، " عدن بين مطامع البرتغاليين مطامح العثمانيين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر "، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 42، السنة الحادية عشر، البصرة ، نيسان، 1985.
7- عبد الوهاب القيسي، " موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية "، مجلة الخليج العربي، المجلد 12، العدد الأول، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، 1980.
8- علي غنام، " كيف نجحت دول أوربية صغيرة في استعمار بلدان كبيرة "، المجلد 19، العدد الأول، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، 1980.
9- محمد رفعت، سباق بين مصر وبريطانيا على عدن في عام 1838، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد 1، القاهرة، آذار 1969.

Abstract

It has been clear through this research that Aden is characterized of its great strategic importance and important geographical location. It was from old times a place of commercial exchange between the East and the West, in addition to its location on the Red Sea, one of the most important waterways in the world, whereas it is a connecting link among the three main continents of the world (Asia, Africa and Europe).

Owing to the great importance of Aden's location, it became a competition field of the European states since the 16th century. Portugal, Holland, France and Ottoman state were among the most noticeable states, but Britain was the most aspirated one to control this vital region of the world. The British government started looking forward to using the opportunities to occupy Aden, especially after getting reports from the British governors and officials in the East, saying that Britain should gain power over Aden harbour in order to achieve its political and economic interests, whereas this harbour was one of the best harbours that supply the British trade ships with fuel and supplies during their voyages from India to Mediterranean Sea. Britain fulfilled its scheme through Aden occupation on 19 January 1839.

The current study (research) has concluded:

1- Aden importance as southern water way of the Red Sea.
2- The International conflict was intensified over Aden after knowing its political and trade importance.
3- Weakness of Ottoman state was the reason behind the foreign greed's, especially that of Britain generally in the Arab region and particularly in Aden.

4- Mohammed Ali authority and his increasing greed's in Arabia especially Aden motivated the Ottoman state to ask for the European states support to face Mohammed's expansionist plans. Those states responded to demands, particularly Britain, which provoked by Mohammed's Ali march towards Aden and his ambitions to gain power over it.
5- Britain had employed new methods to gain power over Aden, whereas it at times employed the political pressure and war maneuvers to frighten the people at other times. Finally Britain achieved its goal due to absence of equivalence with regard to military and administrative sides between the British forces and the Arab ones who confronted them.
6- The British government was paying out salaries and pecuniary rewards to tribes sheikhs, adjoining to Aden. Furthermore it concluded peace and friendship treaties with those sheiks in order to gain power over Aden to use it as an expansion base towards the other Arab regions.
7- Yemenite's attitude towards the British Occupation on Aden, expressed their refusal of all types of colonial hegemony. Their attitude showed that they believe in their right to live freely resisted the British Occupation and sacrificed a lot to defend Aden.
8- Treachery and betrayal of some tribes sheiks as they supported the British forces, were among the failure of the Arab resistance.
9- Henz had a great role in confirming the British occupation on Aden through his influence upon the sheiks of the adjoining tribes to Aden. He got their loyalty through the pecuniary rewards paid out to them, through which he was pressing on them, a

matter that weakened the morale and weakened the Arab resistance in that period consequently.

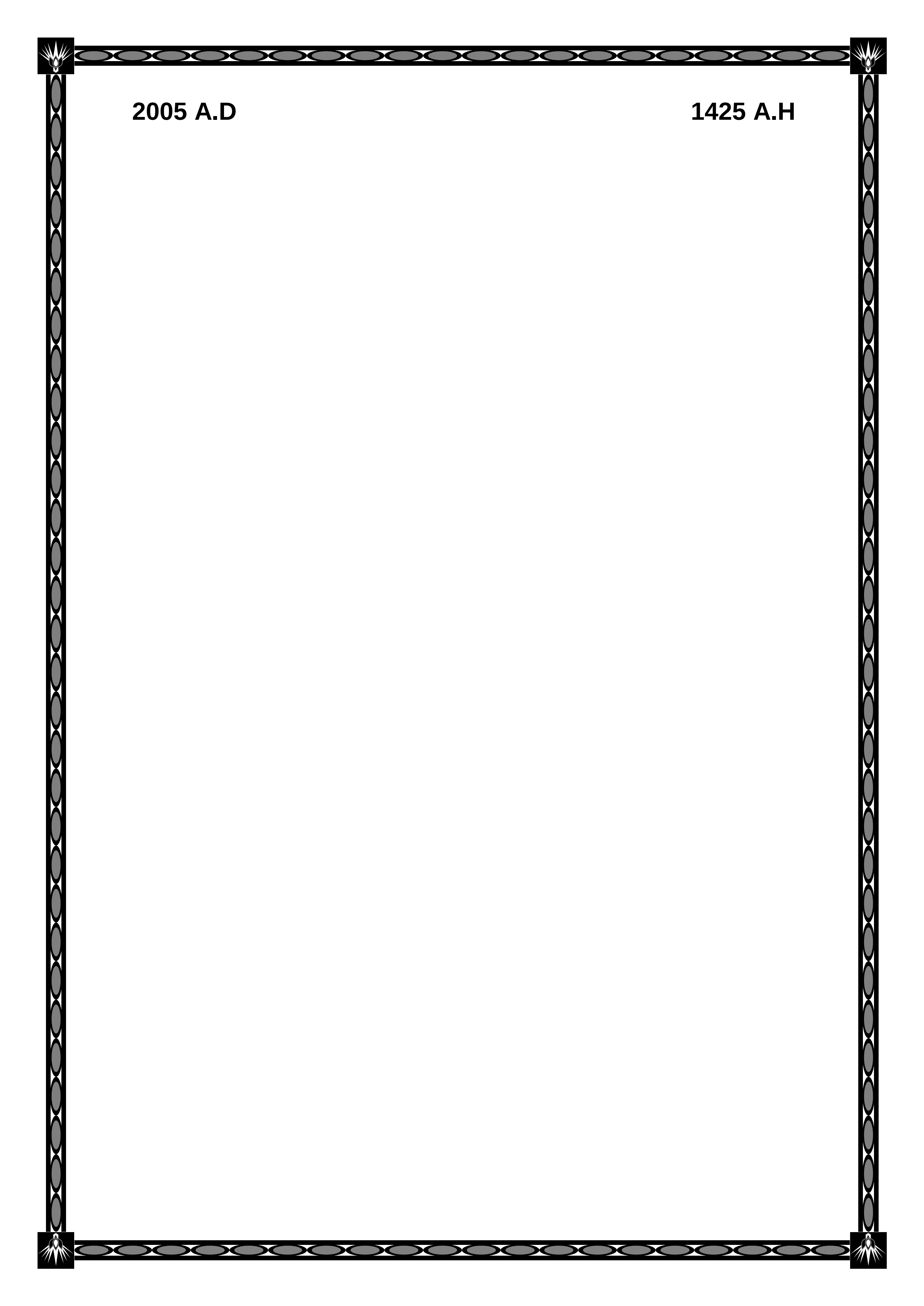
University of Tikrit
College of Education
Department of History

British Occupation of Aden & Arab Resistance 1839 – 1854

Thesis submitted by:
Thamer Azam Hamad Al- dulaymi

To
Council of College of Education – University Of Tikrit as a partial requirements to obtain Master Degree in Modern History

Supervised by:
Dr. Moaid M. Al- mashjadani



2005 A.D **1425 A.H**